

المجلد ٥٢

شعارنا الوحيد إلى الإسلام هو جديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد العاشر: المجلد الثاني والخمسون، رجب ١٤٢٨ هـ - يوليو - أغسطس ٢٠٠٧ م

● عدة أيام في كشمير

● حقائق يمكن إخطاؤها

● الشعر بين الفطرة والرعاية والتعليم

● الصاوي شعلان الضرب العبقري 'عجوبة الشرق'!!

● قراءة في كتاب: 'فردوس نادر'

● القدس عربية إسلامية

● مصارف الزكاة وجهات مقبولة

91-522-2741221, 2741231
(Vol. 52, Issue. 09)

Monthly

Regd. No. LW-NP/642006 To 2

(June - July, 2007)

AL-BAAAS-EL-ISLAMI

إصدارات جديدة

سلسلة من أعلام التاريخ

ساعة مع العارفين

الجزء الثاني

سعيد الأعظمي الندوي

مكتبة الفردوس - لكناؤ (الهند)

الناشر:

مكتبة الفردوس مكارم نغر بروليا لكناؤ (الهند) Ph: 0522-2741274

Printed & Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat (Dept. of Journalism & Publicity) at Kakori Offset Press, Lucknow, U.P.

الاشتراكات السنوية

◆ في الهند

مأتان وخمسون روبية ٢٥٠/٠٠

ثمان النسخة : ٢٥/روبية

◆ في العالم العربي

وفي جميع دول العالم :

٢٥/دولاراً بالبريد العادي

و ٤٠/دولاراً بالبريد الجوي

الرجلة غير ملزمة

بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات

ترسل الاشتراكات بالشيك :
باسم : "البعث الإسلامي"
(ALBAAS-EL-ISLAMI)

وذلك بالعنوان التالي

مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ص.ب ٩٣ لكانا (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS SAHAFAT
WA NASHRIYAT
P.O.Box : 93, LUCKNOW (U.P.)
Pin : 226 007 (INDIA)

العقري العصامي !

العقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده ، وما ينفع عملياً ، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق ، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية ، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة ، وفي عصر الثورة على الدين ، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين ، ومن النتائج الخاطئة ، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره ، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون .

العقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغيوب كإمام وزعيم خالد ، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منه ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة ، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً ، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب ، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق ، وقوى الروحانية والمادية - منهجاً جديداً يجدر بالغرب تقليده وتقديره ، ويضيف إلى المدارس الفكرية ، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع .

هذا هو العقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم ، وهذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام .

(سماحة العلامة النروي رحمه الله)

بسم الله الرحمن الرحيم



البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

أنشأها
فقيه الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسن
رحمه الله تعالى -
في عام ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م

لجلد الثاني
والخمسون

- رئاسة التحرير ○
- سعيير الأعظمي ○
- واضع رشير النروي ○

العدد العاشر
(جب ١٤٢٨ هـ)
ليو - أغسطس ٢٠٠٧ م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء و دار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال ، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير ، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة و المنصوص ، و قامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، و أن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير و التجدد ، فيجب أن يتناول الإصلاح و التجديد في كل عصر ومصر ، وأن يزداد فيه ، ويحذف منه بحسب تطورات العصر ، و حاجات المسلمين و أحوالهم .
(أبو الحسن علي الحسيني النروي)

ALBAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS-E-SAHAFAT-WA-NASHRIYAT

P.O. Box : 93, Taigor Marg, LUCKNOW

Pin : 226 007 (INDIA)

Ph.: 0522-2741235

Fax: 0522-2741221/2741231

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب ٩٣ - لكانا (الهند)

الهاتف : ٠٥٢٢-٢٧٤١٢٣٥

الفاكس : ٠٥٢٢-٢٧٤١٢٢١

عدة أيام في كشمير !

يوم كان الناس يتحدثون عن الجمال الطبيعي الذي كساه الله تعالى جبال وأودية كشمير ، وكانوا يفيضون في الحديث عن مفاتنها الساحرة ، كنت أشعر بدافع نفسي بالغ نحو رؤية هذا الجمال والاطلاع على تلك المفاتن ، وما زال هذا الدافع يعتلج في صدري ، ويشتد الحنين إلى زيارة كشمير الساحرة الفاتنة ، ولكن دون جدوى ، إذ لم يقدر لي آنذاك أن أحظى بهذه الزيارة العزيزة وأقر عيني بهذا الحسن الطبيعي الذي طالما تتفاقله المضاييف العالمية الكثيرة ، ولكنه منة من العزيز العلي القدير على عباده ، ودعوة منه إلى التفكير فيما أودعه الله سبحانه وتعالى من آياته الباهرة في الكائنات كلها ، وما ذلك إلا لكي ينزاح ستار الغفلة عن القلوب والعيون ، ولا يسع الإنسان إلا الإيمان بالخلق والأمر وبتدبير الأمور كلها ، وبالقدرة العظيمة التي لا يملكها إلا الله الواحد القهار ، اقرأوا ما يقوله سبحانه وتعالى يخاطب به أولي الألباب ، الذين يستخدمون عقولهم في معرفة ربهم الكريم من خلال الآيات الكونية : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ * وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا * وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ * وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ * رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا * سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ .

أتيحت لي - بمشيئة الله تعالى - فرصة مواتية ، عن طريق

محتويات المحتوي

الافتتاحية :

عدة أيام في كشمير ! سعيد الأعظمي الندوي ٣

التوجيه الإسلامي :

قراءة في كتاب ، قد يستغرب مؤلفه د/محمد بن سعد الشويعر ٩

القدس .. عربية إسلامية أ.د/محمد السيد علي بلاسي ١٨

الصاوي شعلان الضرير العبقري ، أعجوبة الشرق !! سعادة الدكتور غريب جمعة ٢٣

الدعوة الإسلامية :

الشعر بين الفطرة والرعاية والتعلم د/عدنان علي رضا النحوي ٣٢

من أعلام التاريخ الإسلامي :

نجيب محفوظ ورواياته في ميزان النقد البروفيسور محسن العثماني الندوي ٤٢

الفقه الإسلامي :

مصارف الزكاة وجهاتها ! الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد ٥٢

الثقافة الإسلامية في الهند :

دور المسلمين في تحرير الهند د/مظفر عالم ٦٨

أهم ما في النظام السياسي للهند الأستاذ محمد راشد كمال ٧٥

صور و أوضاع :

حقائق لا يمكن إغفالها واضح رشيد الحسني الندوي ٨٤

قراءة في كتاب :

الشعر والشعراء في الأدب العربي الحديث د/أيوب تاج الدين الندوي ٨٩

بقلام الشباب :

أدب الاختلاف للتعايش مع الناس الأخ الأستاذ محمد فرمان الندوي ٩٤

إصدارات جديدة :

١- كتاب العربية والأدب قلم التحرير ٩٧

٢- كلدسته علم ونظر (بافقة زهر للعلم والفكر) ٩٨

٣- العالم الرباني الكبير الشيخ أبرار الحق الحق ٩٨

إلى رحمة الله تعالى :

فضيلة الشيخ المحدث محمد ناصر علي الندوي ، في ذمة الله تعالى قلم التحرير ٩٨

...

بعض الإخوة المحبين المتخرجين من جامعة ندوة العلماء (١) لزيارة كشمير (الجزء الهندي) التي جعلتها التداعيات المختلفة مرتعاً خصباً لفرض مرثيات متعددة لا تمس جذور الخلاف بين الدولتين، ولا تبذل جهوداً مخلصاً ببناء الخدمة هذه الولاية وتشيد بنيتها الأمنية وتأمين شرائحها الشعبية التي لا تريد إلا العيش في ظل الأمن والسلام بغاية من الهدوء، وبدافع من البناء والتعاون مع أولياء الأمور، إلا أن الظواهر المضادة التي تجلت من خلال تدخلات قامت بها بعض الجهات السياسية عرقلت طريق السلم، وحالت دون حل المشكلة، فظلت المنطقة تعيش قلقاً على جميع المستويات، ولم يتمتع سكانها بالعافية المطلوبة إلى ملة طويلة.

أقلق هذا الوضع الشاذ الجانبين كليهما وأثر ثماراً مرة ذاق مرارتها كل من الهند وباكستان إلى أمد بعيد، وكان من لطف الله سبحانه وتعالى أن اتفقتا على حل المشكلة والجلوس حول مائدة واحدة للبحث عن الحل والتأمل في جميع النواحي اللازمة والنقاش فيها، وما زالت المفاوضات الجدية مستمرة حول القضية، وقد تمت هناك موافقات على كثير من الشئون، مما له علاقة بصميم القضية، ونتيجة لذلك فقد عاد جو من الأمن والهدوء بين الشعبين، ويرجى أن ترجع الأمور إلى نصابها بمشيئة من الله تعالى، ولكن الجولة الحالية للوفد العسكري الإسرائيلي لكشمير تثير تساؤلات في نفوس الناس.

كنت في كشمير في الأسبوع الثاني من شهر يونيو لعام ٢٠٠٧م،

(١) في مقلمتهم صلاح الدين الندوي وبشير أحمد خان، والاخوة الفضلاء الندويون، منهم: الأخ عبد الحميد الندوي، والدكتور مظفر حسين الندوي، والأخ محمد أرشد الندوي، والأخ العزيز خورشيد أحمد الندوي، والأخ محمد آصف، وكثيرون من الأعبة الندويين.

وتيسرت لي زيارات لمدارس وكرليات، ومراكز التعليم والتربية شعبية منها ورسمية، وجولات في الأحياء الشعبية والأمكنة العامة، واللقاء مع رجالات من العلم والدين، كما قد جاءني دعوة كريمة من رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة كشمير العتيلة للحضور في ندوة عقدت بالمناسبة، ولإلقاء كلمة باللغة العربية فيها، وإنني إذ أوجه الشكر والتقدير إلى رئيس القسم بالجامعة وزملائه الكرام (٢) أدلي ببعض خواطري وانطباعاتي التي ارتسمت في روحي عن هذه الزيارة الهادفة:

١- المصالح السياسية والاجتماعية التي اضطرت أولياء الأمور في الحكومة إلى حشد جنود مكثفين في هذه الولاية للصد عن تدخلات سياسية تقوم بها الدولة المجاورة باسم حرية الرأي وإعطاء فرص للشعب لتقرير المصير وربطه بأي جانب يركن إليه، وقد استمرت هذه العملية إلى أطول ملة وانتهزها خدمة المصالح الذاتية من الاستغلاليين وتزعموا القضية لمجرد كسب الشهرة ولصالح أنفسهم، من غير أن تكون لديهم خطة لحل مشكلة الحدود وإنقاذ الشعب الكشميري من المتاعب التي يعاني منها، والتي تتولى تعقيد الأمور والمخادرها إلى أسفل درك من الانتهازية التي جعلت سكان هذا الجزء من الأرض في ارتباك وقلق بالغين، وسلبت منهم قوة الاعتماد على الذات والخروج من أزمة الساسة والاقتصاد والتعليم، التي أخذت منهم كل مأخذ، وتخلفت بهم إلى أقصى درجة من التخلف في كل مجال، رغم ما يملأ هذا الجزء من الخيرات والثروات الطبيعية من كل

(٢) سعادة الأستاذ الدكتور منظور أحمد خان، وزملاؤه من أساتذة قسم اللغة العربية.

نوع، ويكفي لإثراء الشعب الكشميري في جميع مجالات الحياة وإعطائه ميزة خاصة في المجتمع.

٢- هذا الواقع كان سبباً للفقر الذي يعيشه الشعب المسلم في هذه المنطقة، وسوف لا يوجد هناك من المترفين والأغنياء إلا من يُعدون على الأصابع، وهم مشغولون بأنفسهم وبإبقاء مكانتهم، دون أن يهتموا بإخوانهم وما هم فيه من محن ومشاكل، وما يحوم عليهم من أخطار، من خلال المتطرفين والمتدخلين في شئونهم، وفي خيارهم وتقرير مصيرهم، والشعب لا يقصر في السعي وراء ما ينفعه في حل المشكلات الاقتصادية من صناعة وتجارة وزراعة تتولى إقامة صلبه في عسر وتضايق، ومن ثم يعيش المترفون في واد والفقراء في واد آخر، من غير أي تناصح وتناصر فيما بين هذين الصنفين، ووجود جسر يصل بعضهم ببعض، وذلك من غير شك نذير خطر كبير على المجتمع المسلم الذي قلما يوجد مثله في بلد آخر، وذلك ما حرمة الفهم الصحيح للدين، والاعتناء البالغ بالعقيدة الدينية وتعاليمه الشاملة للحياة.

٣- مما أثار نقمة طبقية، الأمية الفاشية في جميع قطاعات الشعب، وقلة الوسائل للتعليم في المدارس والكليات والجامعات ومراكز العلم والتحقيق، ولعل ذلك جاء من فقدان الاهتمام بالتعليم وقلة الحرص على التقدم في هذا المجال، وعدم الشعور بأهمية العلم ومكانته في رفع رأس الأمة، ودوره في الاعتراف بقدرته على تغيير الظروف والأحوال، الواقع الذي جعل جيل الشباب الناهض المسلم يعيش سفاسف الأمور ويتيه في الشوارع والطرق بدون مبالاة برقابة الدين أو خوف من الضمير، فضلاً عن أن يعرف

دوره في بناء الإنسان وتمثيل السيرة الإسلامية في جميع الشئون الحيوية والجمع بين الدين والدنيا باتزان وتساو كاملين.

٤- ارتفاع نسبة السفور بين المجتمعات الأنثوية، التي هي مقبلة على كسب المكانة العالية الاجتماعية بواسطة التعليم، بإزاء مجتمع الذكور الذين لا يباليون بما إذا فترسهم الجهل والأمية، وحُجب إليهم الجرائم الخلقية، والفرار عن معترك الحياة، والانسحاب عن أداء دورهم في البناء دون الهدم، ولعل نبذ الحجاب لدى المرأة المسلمة والتعليم المختلط في المدارس والكليات والجامعات، شغل أمة الشباب عن كل شئ سوى الجري وراء إشباع الشهوات والأهواء النفسية من خلال عوامل السفور والاختلاط، وبذلك يتحقق ما تريده المجتمعات المادية المعادية للدين والسلوكيات، من إزاحة عنصر الشباب المسلم عن طريق العز والسعادة، وإغرائه بما يؤول عليه من عواقب سيئة تكون وياً له وللأمة التي ينتمي إليها.

هذا، ويعلم الجميع أن كشمير خضعت أمام راية الإسلام بفضل عقيدة التوحيد الخالص التي تولاهها الأمير الكبير السيد علي همداني في القرن الثامن الهجري، وقد ألهمه الله تعالى أن يهاجر من بلده "ختلان" التي تقع في منطقة "سمرقند"، في بلاد ما وراء النهرين، وكان الشعب الكشميري يتيه في واد الجهل والضلال والوثنيات، ولكن الله سبحانه لطف به وأكرمه بنعمة الإسلام، فدخل بأجمعه في حوزة الدين الإسلامي، ولو لا صلته برب العالمين العميقة الوطيدة وثقته به ولو لا الحب العظيم لربه تبارك وتعالى ولرسوله الحبيب ﷺ، ولو لا غيرته الإيمانية الخالصة لما تمكن من غرس الإسلام في قلوب الناس، ولم يستطع أن يؤثر في نفوسهم، ويجعلهم يلتفون حوله كما

يلتف الصبي بأمه ، تكلم شخص في مجلسه ؛ فقال : (مَنْ يطع الله ورسوله فقد رشد ، وَمَنْ يعصهما فقد غوى) فلم يحتمل أن يذكر عصيان الله ورسوله بضمير المثنى (يعصهما) ووبخه ، وقال : ما تعرف من أدب الكلام شيئاً بئس الخطيب أنت ، قل : وَمَنْ يعص الله ورسوله ؛ فقد غوى .

بهذه السيرة المثالية وصل الدين إلى كشمير ودخل الناس في دين الله أفواجا ، ولا تزال تعمل هذه السيرة المثالية والوجهة الإيمانية عملهما في إبقاء هذا الجزء الأرضي على جادة الإيمان بالله ورسوله ﷺ ، وذلك هو السر فيما إذا كانت هناك جهود مضادة لاستلاب هذا الجمال والسيطرة عليه ، وإثارة القلاقل وفرض ظروف شاذة على المجتمع الكشميري حتى لا يمكنه أن يعيش في بلده وبيته بهدوء القلب وطمأنينة النفس ، وعلى ذلك تتدخل المعسكرات العالمية في هذه القضية ، وفي تعقيدها بحيث لا تجد لها حلاً رغم أن الجانبين كليهما لا يبغيان إلا البقاء في القسم الذي قدر له ويتربعان اليوم الذي يتم فيه حل هذه المشكلة ويعلن بذلك على المستوين الحكومي والشعبي ، وتتوقف الحركات التدخلية التي تنغص صفو الحياة ، وتفشل الجهود السلمية ، وتمهد الطريق نحو الحيرة والشقاء ، والتهيه والحرمان .

لا حل إلا في ضوء العدل والنصفة ، ولا قضاء بحكم إلا بما يرضاه الجانبان كلاهما ، ولا يتحقق الأمن والسلام إلا بربط المصير بالحق والعدالة الاجتماعية المعترف بها دولياً ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ و : ﴿ اللَّهُ الْأَمْرُ * مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ * وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِخُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾ .

سعيد الأعظمي

قراءة في كتاب ، قد يُستغرب مؤلفه

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويهر
(رئيس تحرير مجلة : "البحوث الإسلامية" - الرياض)

بداية مقدمته : الحمد لله وكفى ، والسلام على أهل الهداية والوفاء ، أما بعد : فيقول العبد الفقير ، الواني إلياس بن داود كسبار أبي إلياس ، الماروني اللبناني ، أن علم الفقه ، أفضل العلوم ، " ما خلا الكلام والتفسير والحديث ، وأصول الفقه " .

وهو للناس أرشد دليل ، إلى سواء السبيل ، بل هو رابط البشرية ، برابط الائتلاف ، والفصل بينهم ، كل خصومة وخلاف ، ولولاه لخطب الناس ، في ظلام كثيف ، واشتبكوا في قتال عنيف ، ولما كان هذا العلم بحراً زاخراً ، ليس له قرار ، وطوداً شائخاً ، لا تدرك منتهاه الأبصار ، وكان فيه من اختلاف الأقوال ، ما يُذهل الألباب ، بحيث لا يمكن لأي كان ، الوصول معه لمعرفة الصواب ، أو أن يهتدي إلى القول الصحيح ، إن لم يكن عالماً حق العلم ، بروابط الترجيح .

وإنه ليصعب على كل من الخلق ، استيعاب دقائق الأمور ، والتنقيب عن مغلفات السطور ، لما في كتبنا الفقهية من الإغماض ، في كثير من الأغراض ، حتى تجد للمسألة الواحدة ، جملة من الأشكال ، لما ترى فيها من الآراء والأقوال .

فحرصت دولتنا العلية ، إلى تأليف كتاب عار عن الاختلافات يُرجع إليه في حل القضايا ، والخصومات ، فجمعت نخبة من العلماء الفقهاء الحنفية ، فألفوا كتاب : " مجلة الأحكام العدلية " ، فجاء كتاباً والحق يقال ، محكم الوضع ، بديع الصنع ، منسق الأبواب ، سهل

المنال ، على ذوى الأبواب ، بيد أنه لم يكن ليوغب جميع الأبواب
الفقهية ، الجاري التعامل بها في الممالك العثمانية ، بل بقي كثير
منها ، خالياً عنها ، مما يعوز العامة فهمه ، ولا يحسن بالخاصة إلا علمه .
فسوّلت لي النفس ، الإقدام على تأليف كتاب يشتمل على
تلك الأبواب ، ليكون مرجعاً للطلاب ، بسهولة عبارته ، وقرب
مناولته ، فأقدمت على هذا الأمر الخطير ، واتخذت الله نعم المرشد
والنصير ، وأنا أعلم عن غيري بما في النفس من القصور ، وما في
العزم من الفتور ، وما أنا عليه من الشواغل ، وما تقتضيه الوظيفة
من المشاغل ، فغصت في بحار الأول ، وراء الدرر الفوال ، وجمعت من
دلائهم ما أفخر به ، ولو كان الفضل لأصحابه ، لا لمرتبته .

فجاء الكتاب والحمد لله وافياً بالمقصود ، وقرّة لعين كل ودود ،
جامعاً في الفقه الحنفي ، خلاصة الأقوال ، والمذاهب في متنوع
المطالب ، مما لم يتعرض له واضعو المجلة بنشر ، ولم يخصّوه بذكر ،
ولذلك سمّيته : " التتمة الفقهية " لأنه متمم لما يذكر في مجلة الأحكام
العدلية ، من الأبواب الفقهية العملية ، وجعلت فصولاً في كل باب ،
ليهون أخذه على الطلاب ، واجتهدت أن أذكر من المذاهب أرجحها ،
ومن الأمثال أوضحها .

ولما كنت أبلي رأيي القاصر ، في بعض الأمور ، أو أذكر
المعول عليه ، في التفسير أو في صحيح المنقول ، كنت أشير إلى ذلك ،
بكلمة " قلت ، أو أقول " ، والله المسئول أن يجعل الكتاب نافعاً ، النفع
المقبول ، وهو حسبي ونعم الوكيل (ص/ ٢-٣) ، إذ من يقرأ هذا
الكلام ، يظن أنه مع فقيه مسلم متبحر ، لو لا أنه قال عن نفسه رغم
ترجيحاته أنه ماروني .

فقد بين منهجه في عمله ، وما سوف يسير عليه في كتابه ، ثم
بدأ بباب الحضانة ، ثم باب النفقة ، وباب اللقطة ، ثم باب الوقف ،
وأطال في أنواعه وشروطه ، ودخل في أبواب الربا والقرض ،
والصرف والاستحقاق والتخارج .. وهكذا نراه يستمر في أبواب
الفقه ، التي لم تتعرض لها " مجلة الأحكام العدلية " .

ونراه يتوسّع في بعض الأبواب : كحكم البيوع ، والوصية
والشفعة ، والموارث والوقف .. ويبين من مصادره التي يستقى منها ،
وذكرها استناداً ، عندما يعطى الحكم الذي يميل إليه ، أن لديه خلفية
جيدة ، لما اطلع عليه ، من كتب الفقه ، على المذاهب ، إلا أن مراجعته
التي ذكر كلها حنيفة .

فنراه مثلاً يقول في نفقة الأقارب : ثم اعلم أن مسائل النفقة ،
أو النفقات ، هي من أشكال المشكلات ، وقد ألف صاحب در المختار ،
رسالة فيها ، سمّاها : تحرير النقول ، في نفقات الفروع والأصول ،
ضمّنها ضابطاً جامعاً ، لم يسبق إليه ، ولم يحم أحد قبله عليه ، وهاك
حاصله :

لا يخلو إمّا أن يكون الموجود ، ممن عليه النفقة ، واحداً أو أكثر .
فالأول : ظاهر وهو وجوبها ، إذا استوفى شروط الوجوب .

والثاني لا يخلو : إمّا أن يكون فروعاً فقط ، أو فروعاً
وحواشي ، أو فروعاً وأصولاً ، أو فروعاً وأصولاً وحواشي ، أو أصولاً
فقط ، أو أصولاً وحواشي ، أو حواشي فقط .

فالأقسام سبعة : الأول : إذا كانوا فروعاً فقط : اعتبر فيهم
القرب والجزئية : أي اعتبر فيهم الأقرب جزئية ، إن تفاوتوا قرباً فيها
، ولا عبرة فيها للإرث أصلاً ، ففي ولدين : ولو كان أحدهما نصرانياً
، أو أنثى ، تجب عليهما سوية .

وفي ابن وابن ابن ، على الابن فقط لقربه .

وكذا في بنت ، وابن ابن ، على البنت فقط لقربها .

ويؤخذ من هذا أنه لا ترجيح لابن ابن ، على بنت بنت ، وإن كان هو الوارث ، لاستوائهما في القرب والجزئية ، ولتصريحهم بأنه لا اعتبار للإرث في الأولاد ، وإلا لوجبت أثلاثاً ، في ابن وبنت ، ولما لزم الابن النصراني شئ لأبيه المسلم (ص/٣٤-٣٥) من هذا الكتاب .

ويقول في الوقف : ولو قال : أوقفت على ذوى قرابتي ، فإنه لا يكون ذوو القرابة أقل من اثنين عند أبي حنيفة رحمه الله : تكون الغلة للعمين ، لأنه يعتبر الغلة للأقرب فالأقرب ، كما مر بنا (لأنه توسع في ذلك تعليلاً وتوضيحاً) .

وعندهما الغلة للعمين والخالين ، أرباعاً ، لأنهما لا يعتبران الأقرب .

ولو كان له عم واحد وخالان ، فعلى قول أبي حنيفة : للعم النصف - يعني نصف الغلة - والنصف الآخر بين الخالين .. ثم بدأ يرجح بقوله : قلت : (ص/١٠٠) .

نقول : إن هذا المؤلف ، في العمق الفقهي - مع أنه نصراني - نراه يرجح في الفقه الإسلامي ، حيث يقول : قلت - وحديثه في الوقف عند المسلمين - : ظاهره أنه لو وقف على قرابته ، أو على أرحامه أو أنسابه أو رحمه كما يذكر ، بلفظ المفرد ، تكون الغلة للعم ، عند أبي حنيفة .

أما لو قال : على أقرب الناس مني ، أو إلي ، ومن بعده على المساكين ، تصرف الغلة ، لأقرب الناس منه ، فلو كان له ولد وأبوان ، تكون الغلة لولده ذكراً كان أو أنثى ، لأنه أقرب إليه من أبويه ، ثم من بعده ، ثم من بعده تكون الغلة للمساكين ، دون أبويه ، لأنه لم

قراءة في كتاب ، قد يستغرب مؤلفه (٢)

يقل للأقرب فالأقرب ، ولو كان له أبوان كانت الغلة بينهما نصفين ، ولو كان له أم وإخوة ، تكون الغلة للأم دون إخوته ، ولو كان له أم وجد ، كانت الغلة للأم ، ولو كان له جد لأب ، وإخوة ، تكون الغلة للجد ، على قول من يجعله بمنزلة الأب .

وعلى قول آخر تكون الغلة للإخوة ، لأن من ارتكز مع الواقف في رحم ، أو خرج معه من صلب كان أقرب إليه ، ممن كان بينه وبين الواقف حائل (ص/١٠٠) ثم استمر في التمييز بين القرابة ، بحسب ما حدده الواقف .

وفي المواريث : أورد مسائل متفرقة ، مما يسأل الناس عنها ، ويُمْتَحَن بها الفرضيون ، فأوردها على هيئة مسائل افتراضية ، كنماذج ، ثم أجاب عنها بتحديد أنصبة كل واحد من الورثة (٦٠٨-٦١٥) ، ومع أنه نصراني ماروني ، كما ذكر عن نفسه ، فإنه اعتبر اختلاف الدين مانعاً من الإرث ، كما هو قاعدة أساسية في شريعة الإسلام .

ودخل في مسائل كثيرة عويصة في الفرائض ، بنى حكمها فيها على الرأي ، كما هو معروف عند أكثر الحنفية ، ولم يمكن ما ذكر من ترجيحات ، بحديث عن رسول الله ﷺ ، ولا ترجيحات العلماء ، والصحابة .

نمذج ذلك ما ذكره ، عن ميراث الخنثى ، والخنثى المشكل ، وعرفه اصطلاحاً بمن له آلتان : فرج وذكر .

قال : فإن بال من الذكر فغلام ، وإن بال من الفرج فأنثى ، وإن بال منهما فالحكم للأسبق ، وإن استويا فخرج البول من كليهما معاً فمشكل ، ولا تعتبر الكثرة ، فهذا قبل البلوغ ، فإن بلغ وخرجت لحيته ، أو وصل إلى امرأة ، أو احتلم كما يحتلم الرجل ، فرجل ، وإن ظهر له ثدي أو لبن أو حاض أو حبَل أو أمكن وطؤه ، فأنثى ، وإن لم

تظهر له علامة أصلاً، أو تعارضت العلامات، كما لو نبتت، ونهد ثدياه معاً، أو أمني بفرج الرجل، وحاض بفرج المرأة، أو بك بفرجها، وأمني بفرجه فمشكل، لعدم المرجح.

وتوقف الإمامان: أبو حنيفة وأبو يوسف، في مَنْ ليس له شيء منهما، واختلف النقل عن محمد، ف قيل له: إنه في حكم الأنثى، وقيل هو والخنثى المشكل سواء، وللخنثى المشكل: أسوأ حالي الذكورة والأنوثة، فلو تركت أمّاً وزوجاً وأختاً لأم، وخنثى لأب، وجعل ذكراً كانت المسألة من ستة: للزوج ثلاثة وللأم واحد، ولولد الأم واحد.. فيبقى واحد للخنثى، بالعصوبة لكونه أخاً لأب، ولو جعل أنثى كان أختاً لأب، وحينئذ تعول المسألة إلى ثمانية، ثلاثة للزوج، و واحد للأم، و واحد للأخت لأم، وثلاثة للخنثى بفرضها النصف، ومن البين: أن ثلاثة من ثمانية، أكثر من واحد من ستة، فيفرض هنا ذكراً (ص/٥٨٧).

وعند بعض الحنابلة، كما جاء في فتاوى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، في مثل هذه الحالة، والإشكال قائم: أنه يعطى من الميراث: نصف نصيب الذكر، ونصف نصيب الأنثى، ويضمّ بعضهما إلى بعض.. والمؤلف لم يتعرض لهذا فأصبح الإشكال قائماً عنده.

وفي ص/٦١٧ قال: تم الكتاب بعون الملك الوهاب، وكان الفراغ من تأليفه، وتبييضه في السابع والعشرين من شهر شوال سنة ١٣٣٠هـ، والخامس والعشرين، من شهر أيلول سنة ١٣٢٨ مارونية، في قرية بان إحدى قرى جبل لبنان والحمد لله أولاً وآخراً، وقد سألت عن هذا المسكن، فعرفت أن جبل لبنان، في جنوب لبنان، وأن غالبية سكانه من المسلمين، وفيه مفت لمسلمي المنطقة، أما التاريخ الماروني فلم أجد ما يوضح أصله ومستنله.

وقد ألحق بآخر كتابه هذا استدراك، بحيل الشفعة. ومن ص/٦٢٤-٦٢٢، شرح للمصطلحات الفقهية، والكلمات الواردة، مرتبة حسب حروف الهجاء وأرقام الصفحات، والأربع صفحات الأخيرة، خصّصها للأخطاء الطباعية، التي وقعت عند الطبع، كما أنه حريص على التأكيد، والتنبيه بمراعاة ذلك قبل القراءة.

والكتاب والمؤلف، يعطيان فكره عن الاندماج وبدون مشكلات، وعلى أهمية ذلك بين النصارى والمسلمين، في المجتمع الإسلامي، في لبنان وديار الشام ومصر، وتعايشهم مع بعض، بدون منفصات، وأنهم من أهل الذمة، التي يرهاها المسلمون.

لأن دلالة القاعلة، التي وضعها رسول الله ﷺ، وسار عليها الخلفاء الراشدون، والصحابة في صدر الإسلام، واقتضى أثرهم علماء وقادة الإسلام: بأن هؤلاء ما للمسلمين وعليهم ما عليهم.

فصاروا بمنزلة القاعلة يحترمون تعاليم الإسلام، وشرائعه، والمسلمون يراعون فهم هذا العهد.

و بشهادة و عرفان المفكرين منهم، الذين اعترفوا بأن من عاش في ظل حكومة الإسلام نعم بالهدوء، والاستقرار والأمن.. وهذا الكتاب نموذج لذلك، بحيث تشبّع مؤلفه بالأحكام الشرعية، وكتب فيها عن قناعة وعلم، ومن مصادر إسلامية كأحد الباحثين الإسلاميين.

ولذا فقد تعايشوا سِلماً، وتجاوروا سَكناً، وتضافوا تعاملاً، واطمأنوا تحت مظلة الحكم الإسلامي، بدون منقّصاف ولا أحقاد أو مؤامرات، ولا ظلم ولا تسلط، كما اعترف بذلك، قبل أسبوعين، وهو شاهد قريب، واحد من كبار الحاخامات "الأخبار"، اليهود

بأمريكا بقوله : إننا أمة كتب الله علينا التشرد ، ولا وطن ثابت لنا ، وكنا نعيش تحت حكم الإسلام ، بديار المسلمين ، بأمان وعُدل ، مكفولة حقوقنا ، وبعدما قامت دولة إسرائيل العنصرية ، أصبح العداء مسلطاً علينا .

ولذا يقال : بأن الحق ما شهدت به الأعداء ، فما أحوج المجتمعات ، لحكم الله ، الذي حمل أمانته كل مسلم مهما كان موقعه على الأرض ، ولم يحف أي واحد منهم في القضايا المختلفة ، عما شرع الله الذي يتساوى فيه الجميع .

ورأيي الشخصي في هذا الكتاب ، أنه يختلف في العرض ، عن مجلة الأحكام العدلية ، التي لم يقدر لها الثبات وأنه يمكن الاستئناس بجهد المؤلف ، ضمن المصادر التي تقدم في المشروع ، إن بعث من جديد .

❏ : عمر والهرمزان :

لما فتح الله على المسلمين السّوس ، بُعث أبو سبرة بالخمس والهرمزان ، مع وفد ، فلما اقتربوا من المدينة ، هياؤا الهرمزان ، بلبسه الذي يلبسه ، من الديباج والذهب ، والمكَلل بالياقوت واللالئ ، ثم دخلوا المدينة ، فتعمّموا به منزل أمير المؤمنين ، فسألوا عنه ؛ فقالوا : إنه ذهب إلى المسجد ، بسبب وفد من الكوفة ، فجاءوا المسجد فلم يروه ، فرجعوا فإذا غلمان يلعبون ، فسألوهم عنه ؟ فقالوا : إنه نائم في المسجد ، متوسداً برؤسائه .

فرجعوا إلى المسجد ، فإذا كما قالوا ، متوسداً برؤسائه للبسة للوفد ، فلما انصرفوا عنه ، توسد البرنس ونام ، وليس في المسجد غيره ، والدرة معلقة في يده ، فقال الهرمزان : أين عمر ؟ فقالوا : هو ذا ، وجعل الناس يخفضون أصواتهم ، لئلا ينبّهوه ، وجعل الهرمزان

يقول : وأين الحُجاب ؟ وأين حرسُهُ ؟ فقالوا : ليس له حرس ولا حُجاب ، ولا كاتب ولا ديوان ، فقال : ينبغي أن يكون نبياً ؟ فقالوا : بل يعمل عمل الأنبياء ، وكثر الناس ، فاستيقظ عمر بالجلبة ، فاستوى جالساً ، ثم نظر إلى الهرمزان ، فقال : الهرمزان ؟ قالوا : نعم فتأمل ما عليه ثم قال : أعوذ بالله من النار ، واستعين بالله ، ثم قال : الحمد لله الذي أذلّ بالإسلام هذا وأشياعه ، يا معشر المسلمين تمسكوا بهذا الدين ، واهتدوا بهدي نبيكم ، ولا تبطرنكم الدنيا ، فإنها غدارة ، فقال له الوفد : هذا ملك الأهواز فكلمه ، فقال : لا حتى لا يبقى عليه من حليته شيء ، ففعلوا ذلك ، وألبسوه ثوباً صفيقاً ، فقال عمر : هيه يا هرمزان كيف رأيت وبال الغدر ، وعاقبة أمر الله ؟

فقال : يا عمر كنا وإياكم في الجاهلية ، كان الله قد خلّى بيننا وبينكم فغلبناكم ، إذ لم يكن معنا ولا معكم ، فلما كان معكم وتمسكتم بشرعه غلبتمونا ، فقال عمر : إنما غلبتمونا في الجاهلية بلجتماعكم وتفرقنا ، ثم قال : ما عذرُك وما حجتُك في إنقاذك مرة بعد مرة ؟ فقال : أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك ، قال : لا تخف ذلك ، فاستسقى الهرمزان ماءً ، فأتي به في قدح غليظ ، فقال : لو ميت عطشاً لم استطع أن أشرب في مثل هذا ، فأتي به في قدح آخر يرضاه ، فلما أخذه جعلت يده ترعد ، وقال : إني أخاف أن أقتل وأنا أشرب ، فقال عمر : لا بأس عليك حتى تشربه ، فأكفاه ، فقال : أعيدوه عليه ، ولا تجمعوا له بين القتل والعطش ، فقال : لا حاجة لي فيه ، إنما أردت أن استأنس به ، فقال عمر : إني قاتلك ، فقال : إنك أمتني .

(تاريخ ابن كثير : ج/٧ ، ص ١٠٦-١٠٧)

ب - القدس .. والعبرانيين :

لقد قامت معركة هامة عام ١٠٠٠ قبل الميلاد بين اليهوديين والعبرانيين (اليهود)، انتهت بانتصار العبرانيين على يد سيدنا "داود" عليه السلام الذي كون أول مملكة يهودية في فلسطين في عام ١٠٠٠ قبل الميلاد، وخلفه في حكم المدينة ابنه سيدنا "سليمان" عليه السلام والذي في عهده بنى المعبد الهام للدين اليهودي، الذي أطلق عليه (هيكل سليمان)، ولكن اليهود لم يوقروا حرمة هذا البيت في عهودهم المختلفة؛ لذا يسجل التاريخ عنهم أنهم "اعتدوا على حرمة هذا المعبد وأضاعوا بهاءه ورونقه؛ إذ حولوه إلى سوق للبيع والشراء، ويتزاحم في ساحته تجار الثيران والكباش والحمام ويصبح مربطاً للأنعام!" وهكذا غطى خوار البقر وثغاء الأنعام على صلوات الكهنة وتراويل اللاويين؛ لذا تنبأ المسيح عليه السلام بنهاية هذا البناء، وقال لتلاميذه: "أترون هذه الأحجار العظيمة، لا يترك حجر على حجر إلا وينقض"، وقد تحققت نبوءته قبل خمس وثلاثين سنة على هذا الحديث، إذ اختفى هذا الصرح من البناء بعدها (٤)!

ولم تستمر هذه الدولة العبرانية طويلاً، فقد انقسمت في عهد أبناء سليمان إلى مملكتين هما: "إسرائيل، ويهوذا"، حيث اتخذت مملكة يهوذا من القدس عاصمة لها وتعرضت المملكتان للتدمير الشامل، فقد قام الآشوريين بتدمير مملكة إسرائيل في القرن الثامن

(٤) أ.د/جعفر عبد السلام: المركز القانوني الدولي لمدينة القدس: ص/٢٣-٢٥ باختصار (ط/مطابع الأوفست بشركة الإعلانات الشرقية بالقاهرة، سنة ١٤١٦هـ)، وراجع في تفاصيل هذه المرحلة:

Joelle Le Morzellec, La question de Jerusalem devant l'organisation des Nations Unies. Tom I, P.13 Thise, Lyon, III 1976.

القدس .. عربية إسلامية

بقلم: أ.د/محمد السيد علي بلاسي
(أكاديمي - خبير دولي - عضو اتحاد كتاب مصر)

أ - نشأة القدس :

القدس مدينة الإسلام والسلام، مدينة العرب القدماء، بناها العرب اليبوسيون - الكنعانيون في الألف الثالثة قبل الميلاد، وهم فرع من الكنعانيين الذين نزحوا من الجزيرة العربية واستقروا في فلسطين منذ أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد؛ لذلك سميت المدينة باسم منشئها الأوائل "يبوس" وهكذا ورد اسمها في التوراة "يبوس هي أورشليم" و "أورشليم مدينة اليبوسيين" (١).
و "يبوس" أو القدس كان من ملوكها "سالم اليبوسي"؛ ولذلك أطلق عليها بلد "يورسالم" والتي أصبحت "يورشليم" (٢).
فأورشليم ليست اسماً عبرياً، بل كلمة كنعانية آرامية (عربية)، أطلقها العرب على القدس قبل أن يكون لبني إسرائيل لغة، وعندما أسماها داود عليه السلام مدينة داود، لم يجد لها اسماً غير الاسم الكنعاني؛ لأن اللغة العبرية لم تكن قد عرفت بعد (٣)!

(١) انظر: سفر القضاء: ج/١، ص/١٢.

(٢) د/كامل سلامة القدس: فلسطين .. أرض عربية إسلامية: ص/٣٦ (دراسة منشورة على صفحات مجلة: "أرض الإسرائ": العدد/١٣٠، شوال ١٤٠٩هـ).

(٣) د/زيد بن عبد المحسن الحسين: القدس (المقدمة): ص/٥ (ط/مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - د.ت.).

قبل الميلاد وأسروا سكانها "السبي الأول"، وتحطمت المملكة الثانية في عام ٥٨٧م - القرن السادس قبل الميلاد - على يد "نبوخذ نصر" الذي حطم هيكل سليمان، ومدينة القدس، وأخرج سكان المدينة منها محققاً ما أطلق عليه "السبي الثاني"؛ حيث أخذهم إلى بابل كأسرى، بعد أن ذبح قائدهم وقتل أبنائه.

وبذلك ينتهي عصر السيادة اليهودية على فلسطين، وهو في مجموعه لم يزد عن ٣٠٠ سنة تقريباً (٥).

ج - القدس والرومان:

تمتد فترة السيادة الرومانية على القدس منذ عام ٦٣ قبل الميلاد إلى عام ٦٣٧ ميلادية وهو التاريخ الذي دخل فيه المسلمون المدينة بعد هزيمتهم للرومان.

ولعل بداية التقديس النصراني للمدينة يرجع إلى اعتناق الإمبراطور الروماني "قسطنطين" النصرانية في القرن الرابع الميلادي وإعلانها ديناً رسمياً للدولة عام ٣١٣م، وإلى قيام والدته الإمبراطورة "هيلانة" بزيارة المدينة عام ٣٣٦م وحصرها للأماكن التي شهدت دعوة المسيح، وتباركت به، ثم إقامتها لكنيسة القيامة التي يعتقد المسيحيون أن المسيح مدفون فيها (٦)!

د - القدس في ظل الإسلام (٧):

١ - لقد بدأت علاقة الإسلام بمدينة القدس حين أسري برسول الله ﷺ من مكة المكرمة وأصبح الإيمان بالإسراء جزءاً من

(٥) المرجع السابق: ص/٢٥.

(٦) نفس المرجع: ص/٢٧-٢٨.

(٧) د/كامل سلامة القدس: فلسطين أرض عربية إسلامية: ص/٣٣-٣٢.

عقيدة المسلمين.

٢ - وفي سنة ١٥هـ (٦٣٧م) تسلم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مدينة بيت المقدس بنفسه وكتب وثيقة الأمان التي عرفت فيما بعده بالعهد العمرية، وفي العهد شرط خاص اشترطه الرؤساء المسيحيون على الخليفة عمر بن الخطاب أن يعطيهم عهداً بعدم السماح لليهود بالإقامة بالمدينة، ولقد كان هذا الشرط بسبب ما لاقاه المسيحيون من شر اليهود أثناء الغزو الفارسي.

٣ - سقوط القدس في أيدي الصليبيين، حيث سقطت القدس في أيديهم سنة ٤٩٢هـ - ١٠٩٩م.

٤ - تحرير المسلمين للقدس: لقد حرر صلاح الدين الأيوبي القدس في ٢٦/رجب سنة ٥٨٣هـ - ١/تشرين سنة ١١٨٧م، وفي اليوم التالي احتفل المسلمون بليلة الإسراء والمعراج احتفالاً عظيماً، وقد أشرف الملك المظفر على عملية تنكيس الحرم وغسله ورشه بماء الورد؛ لتطهيره من رجس الفرنج.

٥ - لم تنقطع السيادة الإسلامية الفعلية على مدينة القدس منذ الفتح الإسلامي طيلة الأربعة عشر قرناً الماضية باستثناء فترة الحملات الصليبية - أي نحو مائة عام - والاحتلال البريطاني (١٩١٧-١٩٤٨م)، ثم الاحتلال الإسرائيلي سنة ١٩٦٧م.

عربية القدس:

يتضح لنا - من كل ما تقدم - أن تاريخ العرب في فلسطين يرجع إلى ما قبل ستة آلاف سنة - وتؤكد ذلك الكشف الأثرية الحديثة، كما تؤكد الكتب الإسلامية السماوية والتوراة خاصة؛ أي قبل أن يهاجر إبراهيم عليه السلام من العراق إلى مصر مروراً بفلسطين

والقدس، وقبل ٢٦٠٠ سنة من ظهور اليهودية (٨).

كما اتضح لنا: أن تاريخ القدس تاريخ طويل وحافل بالأحداث الكبار وفيها تمثل صراع الحضارات والثقافات والعقائد والأعراق المختلفة (٩).

وإذا كانت السيطرة تعتبر أساساً لإدعاء الملكية من الناحية التاريخية لكان العرب هم أولى بأحقية السيادة على القدس (١٠).
فالتاريخ يؤكد أن حكم اليهود للقدس ولم يدم أكثر من سبعين سنة متواصلة، وذلك في عهد داود وسليمان عليهما السلام، كما حكموها لفترات متقطعة لم تتجاوز ٤٠٠ سنة، وفي مقابل ذلك حكم العرب القدس لأكثر من ٤١٦٥ سنة، إضافة إلى أنهم هم الذين أنشأوها، أما بقية الفترة التي تدنو من ١٨٢٢ سنة، من عمر المدينة الذي يتجاوز الستة آلاف سنة، فقد كان الحكم فيها لغزاة من الآشوريين والفرس واليونان والرومان والصليبيين؛ وبذلك يبقى الحكم العربي للقدس هو الأصل وغيره هو الاستثناء، ذلك أنه في كل الفترات تواصل الوجود العربي في فلسطين ولم ينقطع قط.

والقدس هي المدينة التي اختارها الله مهدياً لرسالة التوحيد؛ إذ بعث فيها داود وسليمان وموسى وعيسى عليهم السلام، ثم جعلها قبلة المسلمين الأولى وصلى فيها الرسول الحبيب ﷺ بالأنبياء إماماً ليلة الإسراء والمعراج (١١).

(٨) د/زيد عبد المحسن الحسين: القدس (المقدمة): ص/٥.

(٩) د/كامل سلامة القدس: فلسطين، أرض عربية إسلامية: ص/٣٣.

(١٠) المرجع السابق: ص/٣٣.

(١١) د/زيد عبد المحسن الحسين: القدس (المقدمة): ص/٦.

الطاووس شعلان الطير العبقري، ألبوبة الشرق!!

(حلقة أولى) بقلم: سعادة الدكتور غريب جمعة
(جلة - المملكة العربية السعودية)

يقول صاحب البريد الإسلامي عقب هذه المناجاة:

"رحم الله صديقنا الأستاذ العالم الأديب الشاعر الشيخ الصاوي شعلان وأسكنه فسيح جناته وبارك صالح أعماله وما أكثرها، وقد شغل وظيفة مدير عام الوعظ بالسجون وكان لا يحتاج إلى مرافقه الرسمي إلا قليلاً، فقد كان نور قلبه يهديه طريقه وكان من خصائصه رحمه الله معرفة أصدقائه بأسمائهم بمجرد أن يضعوا أيديهم في يده حتى وإن لم ينطقوا بكلمة واحدة، كما كان يعرف طريقه بغير دليل وقد كتب هذه المناجاة المباركة قبيل وفاته وأنا لفقدته لمحزونون وحسبنا قولنا: إنا لله وإنا إليه راجعون" (٧).

ثانياً: أ- نموذج من شعره المترجم من "الأردية" إلى العربية:
وهي قصيدة للدكتور محمد إقبال بعنوان: "حول تواكل المسلمين"؛ يقول فيها:

يا فارغ الأكواب ظمآن الفم
فيما الرواء على ضمير مظلّم!
ففي يأس حيران و حيرة يائس
متخلف وجل وأيدي مُحجم!

(٧) مجلة البريد الإسلامي، بريد الشعر والأدب، العدد/٤٦٣-٤٦٥ (ربيع الآخر والجماديان) ١٤٠٣هـ، الموافق ٣-٥/١٩٨٣م، السنة/٤٢.

أنكرت مجدك و هو قدرة مبدع
و جهلت ذاتك و هي آية منعم
فتجارة الدخلاء أنت و ربهم
و "الدير" يبنى من ترابك فاعلم
يا للزمان و ياله من مسلم
متواكل في أمره مستسلم!
متهيب يدمي الحريـر بنانه
متأخر، و العصر عصر تقدم!
إلى أن يقول:

بحمة مغرب الوجود و من يد
الإفرنج يستجلي الحياة و يحتمي!
قد ابتغى خبز الشعير رآه من
أسواق (أوربا) شهى المطعم
باع الفرنج (اللات والعزى) إلى
عشاق مكّة و الحطيم و زمزم
قتلوا بني الإسلام لم يتحملوا
شد القسي و لا خسارة أسهم!
أو مسلم هذا، و لم تكن العلا
في هذه الدنيا لغير المسلم!

ب- نموذج من شعره المترجم من "الفارسية" إلى العربية:

وهي قصيدة بعنوان: "أين قصرك يا عمر؟" من كتاب
"المثنوي" وهو من شعر حكيم الفارسية جلال الدين الرومي الذي
يشتمل على ٢٦ ألف بيت من الشعر القوي الرصين الذي نظم به
اللائي من أسرار الدين واستفاض به شعاع الحكمة من نور القرآن

المبين، وقد ترجمها - يرحمه الله - على نفس وزنها وقافيتها في الفارسية
وهي عن قصة رسول ملك الروم إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؓ،
يقول:

عبرة حارت لمناها العقول
عن رسول الروم في أرض الرسول
جاء يطوى اليد سعياً و الحضر
يسأل الأحياء عن قصر عمر!
أين قصر ضم خير المالكين
و الهدى و الطهر و النور المبين؟
قصره لا شك مرفوع البناء
أنصفوا لو شيدوه في السماء!
قال بعض الناس: يا ضيف العرب
قصره فوق الدراري و الذهب!
لا تراه في الملاء عين البصر
بل تراه في العلا عين الفكر
قصره في المجد أعلى منار
ركنه زهد و ذل و انكسار
التأخي فيه و العدل بناء
و مباني الناس غش و رياء

إلى أن يقول:

و مضى الرومي في شوق عظيم
يسأل العابر عنه و المقيم
جاوبته امرأة بين الديار
هل جهلت الشمس في أوج النهار؟

ثالثاً - نموذج من نشره المترجم :

وهي كلمة للدكتور إقبال تعد من روائع النشر كتبها تحت عنوان : "يا أمة العرب" يا أمة العرب التي أشرقت على الدنيا بجواضرها المنيرة وصخراتها الخالدة ، من الذين أيقظوا البشرية بنداء لا كسرى ولا قيصر وردوا الخليقة إلى خالقها الأكبر ؟ ومن الذين أبلغوا رسالة القرآن لأول مرة من قريب المسكون وبعيدها وفي المتقدم من الشعوب والمتخلف منها ؟

من الذين رفعوا مصباح التوحيد على مشارف الحياة ودوت أصواتهم في الكون بلا إله إلا الله ؟

يا أمة العرب : ألم تجد الأجيال غذاء الحكمة على خوانكم ؟ ألم تنزل آيات الوحلة والإخاء في شأنكم ؟

أليست هذه أنسام الحياة الخصبة من نبيكم ؟

قد أنبعثت شقائق العرفان على رمال صحرائكم ، إي والله .. لقد رببت الحرية وليدة في مهد رسالته فما يومها الحاضر إلا ظل من أمسه وشعاع من شمس .

إلى أن يقول :

أيها العربي : إن العصر الحاضر من مواليد أيامك ، وإن نشوته من عصارة أحلامك ، كنت فيما مضى شارح أسرار ، ولم يكن غيرك مخطط معماره ، حتى إذا تبناه الغرب أسفر عن وجهه معشوق خليع قد عرى حلية الكرامة والحياء ، وحين بدأ في إطلال الحسن للنظرين كان منحرفاً عربيداً وعلى غير دين .

يا رجل الصحراء : قوم المعوج بما لك من عزم وإقدام ، وإلى هديك الأسمى وجه مسير الأيام .

يقول صاحب البريد الإسلامي :

تحت ذاك النخل في حصن حصين

تجد البطل أمير المؤمنين

قل يا سبحان رب الوجود

أين ذاك القصر أو أين الجنود ؟!

ملك العرب جميعاً والعجم

نائم في غير جند أو حشم !

عبرة تروى لجيل بعد جيل

نام ظل الله في ظل النخيل (٨)

ماذا يقول رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية عن هذه

الترجمة ؟

يقول سعادة الأستاذ الدكتور عبد القدوس أبو صالح رئيس

رابطة الأدب الإسلامي العالمية في معرض حديثه عن الدكتور إقبال

والشيخ الصاوي شعلان :

"لم ينجح أحد في ترجمة شعر إقبال إلى العربية ترجمة صادقة

بكل ما في هذه الكلمة من معنى حتى يخيل إليك أنها نظمت في

العربية أصلاً كما نجح الشيخ الصاوي شعلان ، وإن قصيدته "حديث

الروح" التي سمعتها الملايين من خلال غنائها عبر الإذاعات العربية

تساوي ديوان شعر كامل ، وهذه القصيدة هي الأبيات المختارة من

قصيدتي إقبال : "شكوى" و "جواب شكوى" (٩) .

(٨) مجلة البريد الإسلامي ، العددان ٢٠١/٢٠٢ - رمضان وشوال ١٣٧٨ هـ الموافق

أبريل ومايو ١٩٥٩ م ، السنة ١٧ .

(٩) لم استشهد بهذه القصيدة حتى لا يكون ما كتبه تكراراً لما سبق فالقصيدة

مذاعة معروفة وقد رغبت في تقديم الجديد .

"رحم الله إقبالاً"، فقلما تجود بمثله الأجيال، وقد كان لي شرف الجلوس معه والتحدث إليه أثناء مروره على مدينة الإسكندرية في طريقه إلى مؤتمر المائدة المستديرة بلندن عام ١٩٣٢م، وكان بصحبته المرحوم مولانا شوكت علي، وكنت آنذاك أصدر مجلة التقوى، أما ذلك اللقاء الطيب فكان بمقر جمعية الشبان المسلمين القديم في حي المنشية، وكانت الجمعية محط رجال رجالات الإسلام القادمين والمسافرين وما ألد الفلافل (الطُعْمِيَّة) وهي طعام مصري شعبي محبوب) التي قدمتها الجمعية لضيوفها على مائدة المحبة في الله يوم وصول وفد الهند الكريم، وإني لأذكر هذا اليوم الخالد بعد مرور ٥٢ عاماً (وقت كتابة هذا الكلام أي عام ١٩٨٤م) وكأنه بالأمس القريب مستمطراً "الرحمة على أرواح أحباب صالحين من أعضاء الجمعية وضيوفها الكرام الذين سبقونا إلى الدار الآخرة" (١٠).

يقول كاتب هذه الكلمة: وكأنما يعيد التاريخ نفسه فقد استضافت جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة رابطة الأدب الإسلامي العالمية لعقد مؤتمرها العام في مقرها الرئيس بالقاهرة عام ١٩٩٩م. ماذا يقول الإمام أبو الحسن الندوي عن الشيخ الصاوي شعلان:

كان الشيخ الصاوي شعلان من بين الذين التقى بهم سماحة الإمام أبي الحسن الندوي - يرحمه الله - أثناء زيارته لمصر عام ١٩٥١م وقد استعان به لترجم له شعر إقبال من الأردية إلى العربية ليستشهد به في كلماته ومحاضراته في المحافل التي كان يدعى إليها.

(١٠) مجلة البريد الإسلامي، العدد ٤٧٣-٤٧٤، المحرم - ربيع الأول ١٤٠٤هـ الموافق ٨٣/١٢م، ١-٢/١٩٨٤م، السنة ٤٣.

يقول الشيخ الندوي:

"الأستاذ صاوي شعلان له شغف عظيم بالثقافة الإسلامية الهندية يعرف الفارسية ويحفظ لإقبال شيئاً كبيراً في ترجمة رسالته إلى الأمم الإسلامية التي تعرف بمثنوي: "بس جه بايد كرد أي أقوام شرق" ولا شك أن هذه المنظومة رسالة جامعة وفكرة مركزية لإقبال قد جاء فيها بكل ما يريد أن يقوله للأمم الإسلامية فوفق الله الأستاذ صاوي لترجمتها.

وله قدرة على ترجمة الشعر مع أن ذلك من أصعب الأشياء، ومثل الأستاذ صاوي شعلان يستحق أن تستعين به الحكومة والجامع العلمية على الأقل في نشر فكر إقبال في العالم العربي الذي يعرف طاغور الشاعر الهندي أحسن مما يعرف إقبالاً وتلك سبة عار على باكستان والهند قبل أن تكون عاراً على العالم العربي".

ثم يعبر في موضع آخر من كتابه عن دهشته من كتابة الشيخ الصاوي على الآلة الكاتبة؛ فيقول:

"جاء الأستاذ صاوي شعلان إلى مكان الاجتماع وقد ترجم بعض أبيات إقبال التي أمليتها إياها قبل اليوم وعرضت عليه بعض الأبيات بالفارسية من "جاويد نامه" أريد أن أنقلها إلى العربية وأستشهد بها في محاضرتي يوم الأربعاء في كلية دار العلوم، فكتبها على ورق بالآلة الكاتبة وكان منظرًا غريباً، فالأستاذ مكفوف البصر وكان يكتب كالمبصرين، والآلة تشتغل فما لبثنا أن رأينا نقوشاً ناتئة على القرطاس ما نراها إلا نقطاً بعضها فوق بعض ونقطاً بعضها بجانب بعض لا نفقه لها معنى ولكن الأستاذ يقرأها كما تقرأ صحيفة مكتوبة وأنشدنا الأبيات الفارسية التي أمليناها" (١١).

(١١) مذكرات سائح في الشرق العربي الشيخ أبو الحسن الندوي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط ٣، عام ١٤٠٣هـ الموافق ١٩٨٣م

وأسمح لي أخي القارئ أن أضيف إلى ما سبق من النماذج نموذجاً آخر، هو :

❏ ٤- شرحه لحديث نبوي شريف :

أخرج الطبراني من حديث عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : "أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيث كنت" . وفي الصحيحين أنه ﷺ قال : "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" .

تأمل شرحه لهذا الحديث وبراعته في نقل المعنى إلى ذهن القارئ ليعايش الحديث معاشة تامة .. يقول الرجل :

إن مراقبة المؤمنين الأولين لربهم هي التي جعلتهم ينظرون في ملكوت السماوات والأرض ، وما خلق من شئ ويتأملون في الأكوان كيف دبرها ؟ وفي المقادير كيف قدرها ؟ وفي المخلوقات كيف صورها ؟ ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله فيتحلون من الإيمان بأنبل الصفات ، ويقومون بجلائل الأعمال التي رفعت مكانتهم في الدنيا وبوأتهم منازل الكرامة في مقعد صلق عند مليك مقتدر .

إن استدامة المراقبة لله هي الوازع الحي الذي يوجهك إلى الخير في النية والقول والعمل ، ويضئ سراج عقلك عند ورود الشبهات ، ويوقظ ضميرك عند هجوم الرغبات فلا تتكلم إلا حين ترى للكلام موضعاً من الحق ومدخلاً من الصواب ، ولا تختصم مع كريم فتفقد مودته ولا مع سفيه فتعرض لأذاه .

وتخلف أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يخلفك به إذا غبت عنه ، وإذا قدرت لم تأخذ ما ليس لك ولا يجرئك الرضا على الباطل ، ولا يخرج بك الغضب عن الحق ، ويكون شعارك الخشية من ربك في السر والعلانية ، والإنصاف من نفسك للعدو والصديق ، والقصد

والاعتدال في الفقر والغنى ، وأنت مدرك أن الإيمان لا يكمل إلا حين يكون لباسه التقوى وزينته الحياء وجماله الحلم ، وثمرته العلم .

ومتى أدرك الإنسان جلال المعاني السامية في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ * أَيُنَمَا كُنْتُمْ ﴾ (الحديد/٤) .

أمكنه أن يقول في كل صباح ومساء ، وفي كل شلة ورخاء ، وفي كل بر وبحر وفي كل أمن وخوف : ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي * سَيَهْدِين ﴾ (الشعراء/٦٢) .

إن الناس يكافئون عن الكثير بالقليل ولكن الله يكافئ عن القليل بما فوق الكثير ، والذي تنتظر منه الجزاء الأوفى قد رآك ، فاعمل لمرضاته وحده وابتغ الزلفى عنده : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ (الزمر/٣٧) (١٢) .

ولعل في هذا النموذج من نشره غناء عن إيراد نماذج أخرى ، فقد طال رشاء القلم ، ومعذرة أخي القارئ ...

فقد اجتهدت على عجزتي وقلة بضاعتي أن أقدم صورة - ولو مصغرة - لهذا العبكري الأعجوبة الذي لقي ربه عام ١٩٨٢ م ، ولعلها دعوة متواضعة لدراسة آثار هذا الرجل من الباحثين عن الأدب في أرفع وأسمى وأكمل معانيه وأزهى وأبهى وأجل مبانيه .

تقبله الله في الصالحين ورفع درجاته في عليين ، وقد جعله الله في حياته التي امتدت إلى واحد وثمانين عاماً آية من آياته في العوض والعطاء .

﴿ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾ (الإسراء/٢٠) .

(١٢) مجلة البريد الإسلامي ، العدد/٢٤٨-٢٥٠ ، شعبان - شوال ١٣٨٢ هـ ، يناير - مارس ١٩٦٣ م ، السنة/٢١ .

الشعر

بين الفطرة والرعاية والتعلم

بقلم : الدكتور عدنان علي رضا النحوي
www.alnahwi.com info@alnahwi.com

هل الشاعر يولد أم يُصنع ؟!

هل من الضرورة أن يكون ملماً بعلم العروض ؟!

أسئلة كثيرة تثار من مثل هذين السؤالين ، وأرى من خلال تجربتي العلمية والدراسية ، وعلى ضوء ما عرضته من : "قانون الفطرة" ، فالشاعر يولد وقد وهبه الله ما يشاء من مواهب وقوى وميول تستقر في فطرته ، فالموهبة الشعرية تكون في فطرة من أراد الله أن يهبه هذه الموهبة ، ثم ينمو الوليد على سنن ربانية وقضاء نافذ وقدر غالب ، يتمثل ذلك كله في ما يجابهه الوليد في مراحل نموه ، ابتلاءً من الله وتمحيصاً لعباده .

ومن خلال ذلك نجد أن الموهبة الشعرية وغيرها من المواهب تمرّ بإحدى ثلاث حالات : فهي إما أن تنمو وتقوى إلى مستوى ما حتى تؤتي عطاءها ، وإما أن تدفن مع صاحبها في أجواء تقتل الموهبة وتقتل صاحبها ، وإما أن يجاهد صاحبها من خلال معاناة وابتلاء ، ويشق طريقه حتى تتفتح موهبته وتقدم ثمارها .

وعندما تنمو الموهبة مع الوليد ، فإما أن يكون النمو ماضياً على صورة طبيعية تُوفرها ظروف الحياة العادية ، وإما أن تنال الموهبة رعاية حانية متميزة تحذب عليها وتبذل لها .

والشعر في العرب فطرة ، لا تكاد تجد منهم أحداً لا يقول البيت أو الأبيات ، والشاعر المبدع هو الذي يتدفق شعره قصائد تنشر

البحث الإسلامي

الشعر بين الفطرة والرعاية والتعلم

ويتداولها الناس ويحفظونها ، ولكل شاعر راوية أو أكثر ، وكانت اللغة العربية كلها بقواعدها وبلاغتها وعروضها فطرة في الشاعر ، ينشأ في بيئته التي تنمي هذه الفطرة ، فيتلقى من البيئة استقامة اللسان وحلاوة البيان وجمال الجرس ، فيخرج الشعر منه على أوزان محدّدة وقوافي ملتزمة ، لا يعرف الشاعر لها اسماً ولا يعرف قواعدها في العروض ، فلم يكن الشاعر بحاجة إلى أن يدرس العروض لأنه لم يكن لديهم شيء اسمه علم العروض ، ولم يكن لديهم شيء اسمه علم النحو والصرف أو علم البلاغة أو البيان أو المعاني ، فهذه كلها علوم قام بها متأخرون حين اكتشفوا خصائص عبقرية هذه اللغة العربية ، فكان لهم فضل اكتشافها ولم يكن فضل إيجادها .

وظهرت هذه العلوم عندما أخذ اللحن ينتشر بين العرب الذين بعدوا عن البادية ، وعاشوا في المدن وخالطوا شعوباً متعددة ، وظل كل من يحرص على نقاء لغته واستقامة لسانه يذهب إلى البادية لذلك ، أو يرسل أولاده .

وقد أقام المتنبي فترة في البادية ، وأرسل عبد الملك بن مروان أبنائه إلى البادية وآخرون فعلوا ذلك حيث يرسلون المولود إلى البادية حتى يبلغ الثامنة من العمر أو أكثر أو أقل ، أما نحن اليوم فقد غلب على مجتمعاتنا اللغة العامية ، فلا ينشأ الطفل نشأة تغرس فيه سلامة اللغة في فطرته ، أو رعاية مواهبه ، فمن كان في فطرته موهبة شعرية أودعها الله فيها ، فعليه أن يرعاها بالتعلم والتدريب والرعاية .

وحفظ الشعر الموزون المقفى ، حفظ الكثير الكثير منه ، ضرورة لرعاية موهبته الشعرية واللغوية ، يحتاج المسلم اليوم إلى أن يرعى قدرته اللغوية كلها بالتعلم الجاد ، فذلك فرض عليه ، فرضه الله ورسوله :

عن ابن عباس رضي الله عنه وعن غيره أن رسول الله ﷺ قال: "طلب العلم فريضة على كل مسلم" (١).
 وأساس العلم كله لدى المسلم الكتاب والسنة كما جاء باللغة العربية، فدراسة القرآن الكريم، وأحاديث رسول الله ﷺ، واللغة العربية، وإتقان ذلك، كل في حدود وسعه وطاقته، فرض عليه سيحاسب على مدى وفائه به بين يدي الله، وسيظل المؤمنون يذكرون الناسين والغافلين ويلحون بالتذكير.

ودراسة الشعر العربي الأصيل جزء من دراسة اللغة العربية، ويروى أن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج على المسلمين في مسجد الرسول الكريم ﷺ، وقام فيهم مستفهماً، فقال: أيكم يعرف هذا الحرف: "أو يأخذهم على تخوف"، ما التخوف هنا؟! فأرم القوم، فقام شيخ من أخريات المسجد، فقال: أنا أعرف ذلك! التخوف هنا: التنقص! فقال عمر: أو يعرف العرب ذلك؟! فقال له: نعم! يقول شاعرنا:

تخوف الرجل منها تامكاً قرداً

كما تخوف عود النبعة السفن

و المعنى تخوف: تنقص، التامك: السنام، القرد: كثير الشعر، النبعة: شجرة تؤخذ منها السهام، السفن: المبرة.

فقال عمر رضي الله عنه: عليكم بأشعار العرب، فإن فيها معرفة كلام ربكم (٢)، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: "الشعر جذل" أصل

(١) انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته: رقم/٣٩١٣.

(٢) السيد عبد الرحمن بن عبد الله السقاف: كتابه: "العود الهندي عن آمالي في ديوان الكندي"، د/عدنان علي رضا النحوي في كتابه: "التجديد في الشعر بين الإبداع والتقليد والانحراف": ص/١٥.

كلام العرب، يسكن به الغيظ، وتطفأ به النائرة "الفتنة الهائجة"، ويبلغ به القوم في ناديم، ويعطى به السائل (٣).

قال عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده: "روهم الشعر! روهم الشعر! يمجّدوا ويحمّدوا" (٤)، وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "رووا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم" (٥).

وكتب معاوية رضي الله عنه إلى زياد يسأل لِمَ لَمْ يرو ولده الشعر: "ما منعك أن ترويه الشعر؟! فو الله إن كان العلق ليرويه فيبر، وإن كان البخيل ليرويه فيسخو، وإن كان الجبان ليرويه فيقاتل (٦)!"

ويروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: "الشعر علم العرب وديوانها، فتعلموه وعليكم بشعر الحجاز" (٧).

والشعر كان أنشودة ميادين الجهاد، وعن أنس رضي الله عنه عن الرسول الكريم ﷺ أنه قال: "جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم" (٨).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي الكريم ﷺ يضع لحسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر أو ينافح عن رسول الله ﷺ، ويقول رسول الله ﷺ: "إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما يفاخر أو ينافح عن رسول الله ﷺ" (٩).

(٣) أخبار عمر: ص/٢٨٢.

(٤) (٦-٥-٤) العقد الفريد: ١٠٨/٦.

(٧) المصدر السابق: ص/١١٥.

(٨) أبو داود: رقم/٢٥٠٤ وأخرجه النسائي والدارمي وأحمد وصححه ابن حبان والحاكم في المستدرک.

(٩) الترمذي: ٢٨٤٦.

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي الكريم ﷺ أنه قال : " إن من الشعر لحكمة " (١٠).

ونشأة الشعر العربي ومسيرته وطبيعته تختلف اختلافاً واسعاً عن نشأة الشعر ومسيرته في الأمم الأخرى ، فالشعر عند العرب ، كما يقول مصطفى صادق الرافعي في كتابه تاريخ آداب العرب : " هو عمود الرواية : عليه مدارها وبه اعتبارها ، وقد كانت منزلته من العرب ما هي ، إذ كان يتعلّق بأنسابهم وأحسابهم وتاريخهم وما يجري مع ذلك ، حتى كأنه الحيلة المعنوية لأولئك القوم المعنويين ، فلا عجب أن يدور فيهم مع الشمس والرياح ، وأن تُسخر له ألسنتهم فينصرفوا إلى قوله وروايته ، حتى بلغ منهم مبلغه الذي نصفه لك في بابه إن شاء الله " .

فإذا درس المسلم كتاب الله وتدبره وحفظه ، أو حفظ قدر وسعه ، ودرس سنة رسول الله ﷺ ، ودرس اللغة العربية بغية إتقانها ليستطيع تدبّر منهاج الله ، ستبرز مواهبه التي وضعها الله في فطرته ، وتنمو وتغنى وتقوى وتشتدّ ، فمن كان عنده موهبة شعرية فإنها ستنتقل عندئذ ، وسيشعر بحاجته للعروض ، فعليه أن يدرس العروض ، ثم يعتني بموهبته الشعرية ورعايتها كما ذكرنا أعلاه .

وشعراء العصر الأموي كثير منهم حفظوا آلاف الأبيات الشعرية ليرعوا موهبتهم ، وكذلك شعراء العصر العباسي وغيره ، وحتى اليوم لا غناء للشاعر عن حفظ الكثير من الشعر ، حتى ولو كان ينساه .

(١٠) البخاري ، باب ٩٠ ، أبو داود : حديث رقم ٥٠١٠ ، الترمذي : حديث رقم ٢٨٤٧ .

وأوصي المسلم الذي يشعر أن عنده طاقة شعرية أن يلتزم بثلاث نقاط رئيسة ، وكذلك أوصي بها كل مسلم ، لا من أجل الشعر وحده ، ولكن لينجو من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة :
= دراسة الكتاب والسنة وتدبرهما وحفظ أكبر قدر يستطيعه صحبة عمر وحية .

= دراسة اللغة العربية : قواعد نحوها وصرفها ، وبلاغتها ، وعروضها .

= حفظ ما يستطيع من الشعر القوي الأصيل .
أعرف بعض الشباب الذين شعروا برغبتهم في قول الشعر ، فحاولوا ذلك ، واطلعت على بعض ما كتبوا ، فكان منهم من كانت موهبته واضحة ، عطّلها الجهل باللغة العربية والعروض والزاد من منهاج الله ومن الشعر النقيّ القويّ الأصيل ، فكان ما كتبه حقيقةً نثراً ، وربما تجد فيه بعض التفعيلات ، فمن درس العروض وتدرّب وأخذ بالنصائح الثلاث التي ذكرتها أعلاه ، انطلق شعره وأخذ ينمو ويقوى .

ومن هنا ، نلاحظ أن بعض شباب المسلمين كان لديهم موهبة شعرية في فطرتهم ، فما رعوها ولا حرصوا على إتقان اللغة العربية وعروضها ، ولا على تدبّر منهاج الله ، فحاولوا قول الشعر ، فكان هو ما يسمونه قصيدة النثر أو التفعيلة ، أو ما أسميه " الشعر المتفلّت " ! ثم تسلّم بعض هؤلاء التيار العلمانيّ التغريبيّ الحداثي ، فسقطوا في شبكه الواسعة الممتلئة ، دون أن يشعروا بخاطر ذلك ! ولكنها كانت خطوة من خطوات أخرى من التنازلات التي لم يُتلفَت إلى خطورتها وحدها أيضاً ، والتقت هذه وتلك ، وسائر الخطوات ، فإذا واقع الأمة يُعاني من مأس وانحراف وتنازلات واستسلام !

ولا أشك أبداً في أن أهم الأسباب التي دفعت الكثيرين إلى

الشعر المتفلسف نثراً أو تفعيلات هو جهل العروض، وجفاف الموهبة الصادقة، فكان الشعر المتفلسف باباً لكل من أراد أن يقول ما يحسبه شعراً وما هو بشعر، ثم أخذت وسائل أخرى كثيرة تدعو إلى ذلك بوسائل مختلفة من الدعاية والإعلام، فكانت في رأيي حرباً واضحة على اللغة العربية، تنضم إلى أشكال أخرى سابقة من هذه الحرب، مثل: محاولة تغيير قواعد النحو والصرف، ومحاولة تغيير الأحرف العربية، ومحاولات نشر اللغة العامية، ونشر اللغات الأجنبية وفرضها، وغير ذلك.

ولكن اللغة العربية صمدت وستظل صامدة بإذن الله، فهي في رعاية الله الذي اختارها وفضلها على جميع لغات الأرض، ولقد تعهد الله بحفظ الذكر، واللغة العربية هي وعاء الذكر، وعاء الكتاب والسنة:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ * وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر/٩).

الشاعر وأهم خصائصه المميزة:

للشاعر المسلم خصائص مميزة هي التي تبرزه كشاعر له أثره في الحياة، فكما أن الشعر يجب أن يحمل خصائص فنية ترفعه إلى مستوى الأدب، وخصائص إيمانية ترفعه إلى شرف الانتساب إلى الإسلام، ف كذلك الشاعر يجب أن يحمل خصائصه الفنية والإيمانية المميزة ليقدم الشعر الذي يرتقي إلى مستوى الأدب الإسلامي.

نوجز أهم هذه الخصائص:

أولاً: الموهبة الشعرية التي لا غناء عنها، والتي يهبها الله لمن يشاء من عباده بالقدر الذي يشاء.

ثانياً: الغذاء الطيب المستمر الذي يرعى الموهبة وينميها، وخير غذاء هو المنهاج الرباني - قرآنًا وسنةً ولغةً عربيةً - ، وما يحفظه

من شعر غني، وما يتزود به من علوم ومعرفة، ومنهاج الله يغذي الموهبة وينمي اللغة العربية ويفتح للشاعر آفاقاً ممدودة.

ثالثاً: أن يكون له رسالة في الحياة، رسالة صادقة يكون معها صادقاً، ولا تكون طلاء ولا زخرفاً كاذباً، وخير رسالة يحملها الإنسان رسالة الإسلام، لا يحملها إلا المسلم، الأديب المسلم، والشاعر المسلم، والعالم المسلم، وكل مسلم عرف مسؤولياته كما بينها الله في كتابه العزيز، فمنها تبرز أمامه حقيقة مهمته في الحياة، المهمة التي خلق للوفاء بها والتي سيحاسب عليها أمانةً وعهداً وعبادةً وخلافةً، إنها كلها تنبع من صلق الإيمان وصفاء التوحيد.

رابعاً: أن يحب اللغة التي ترتبط بها رسالته، فالإسلام جاء باللغة العربية، وجعل الله دراسته فرضاً على كل مسلم، دراسة القرآن كما أنزل والسنة كما جاءت، واللغة لها دور هام في الفكر وبنائه، ودور هام في العطاء وصفائه.

خامساً: أن تكون ممارسته في واقع الحياة مطابقة لرسالته وأدبه وشعره وشعاراته، سواء أكان ذلك في التعامل مع الناس، أم في المواقف والاتجاهات في جميع ميادين الحياة.

سادساً: ونقطة أخرى نضيفها لخصائص الشاعر: هي أن يظل عطاؤه مستمراً تدفعه الموهبة والعقيدة وتحديات الواقع، وأن يظل غذاؤه متجدداً، ذلك ما دام الشعر لدى الشاعر وسيلة من وسائل رسالته، وقوة من قوى مهمته في الحياة، وعلة في ميدان جهاده.

المسلم المؤمن لا بد أن يبرز إسلامه وإيمانه مهما يكن الميدان الذي يعمل فيه، ذلك لأن الإسلام منهج حياة متكاملة يعيشه المسلم في كل ميادين نشاطه وعمله، ومواهبه وعطائه.

سابعاً: الأديب المسلم هو أولى الناس في أن يصدق باتباع أمر

الله وأمر رسوله ، وما فرضه الله عليه ، مهما كان جنسه أو لونه ، فهو أولى الناس في تدبر منهاج الله - قرآناً وسنةً ولغةً عربيةً - ، وفي مصاحبة منهاج الله مصاحبة منهجية مصاحبة عمر وحية .

ثامناً : الأديب المسلم بعامة والشاعر المسلم بخاصة قادر على أن يجعل من أدبه وشعره قوة تجمع المؤمنين صفاً واحداً كما أمر الله ، وقادر على معالجة التمزق والفرقة التي يعاني منها المسلمون .

تاسعاً : الأديب المسلم والشاعر المسلم ، لا يصفو أدبه ولا شعره ولا عمله ، حتى يتجرد من الحسد والحقد ، والتنافس على الدنيا بدلاً من التنافس على الآخرة ، ويتجرد من النفاق والمراعاة بكلمته وبمواقفه ، ليكون بذلك النموذج الذي يحتذى .

عاشرأ : الأديب المسلم هو داعية إلى الله ورسوله ، يحمل رسالة الإسلام عن وعي وإيمان والتزام ، والإسلام جعل الدعوة إلى الله ورسوله مسئولية كل مسلم وهدبه الله القدرة على ذلك بالإيمان والعلم . نعم ! هنالك عوامل أخرى كثيرة تؤثر في بناء الشاعر ، ولكن هذه النقاط تميز الشاعر ، أو تميز بين شاعر وشاعر ، وتبني التفاعل مع أي عوامل أخرى .

وهذه الخصائص منها ما هو فطري هبة من الله سبحانه وتعالى ، ومنها ما هو مكتسب من البيئة والحياة والمسيرة ، فالموهبة هبة من الله يضعها في من يشاء من عباده ، وإنما الإنسان يرعاها وينميها ، والغذاء مكتسب ويرعى وينمى ، أما حمل الرسالة في الحياة فهي ميدان الابتلاء والتمحيص في الحياة الدنيا ، وكذلك حب اللغة العربية والزاد كله أمر مكتسب تدفع إليه الفطرة النقية ، وأعبر عن بعض هذه المعاني بالآيات التالية من قصيدة : " لآلي الشعر أوزان وقافية " :

الشُّعْرُ فَنٌّ إِذَا مَا قَلَّتْهُ انْتَفَضَتْ

مِنْكَ الْجَوَارِحُ تَحْنَانًا وَتَذْكَارًا

في صورة جمعت ألوانها فزهت
وحركت من بديع اللحن أوتارا
وخفقت ، عبقرى الفن يطلّقها
روائعا من غني الشعر أبكارا
وكأنها استلهمت من كل قافية
لحنا تموج به الأشعار أشعارا
وعطرت بالقوافي كل رابية
وزينت بالقوافي السّاح والدارا
وأطلقت في سماء الشعر أنجمها
لآلئاً وعلى الأفق أقمارا
كأنما اتسعت للشعر ساحتها
فكان بحرأ وهاج البحر إعصارا
لا يركب عباب البحر غير فتى
جلد تمرس إقلاعا وإبحارا
يخوضه كل ذي عزم وموهبة
وينثي العجز المضطر إذبارا
يغوص يطلب من أعماقه درأ
ويعتلي ظهره جوداً وإصدارا
هذي " البحور " بحور الشعر واهبة
للصادقين علأ يزهو وأعمارا
وإن فيها لأصدافاً تصان بها
لآلي الشعر أوزاناً وأقذارا (١١)

(١١) انظر : كتاب الشعر المتفلت بين النثر والتفعيلة ، للدكتور عدنان علي

رضا النحوي : ص ١٥٧ .

نجيب محفوظ ورواياته في ميزان النقد

بقلم : البروفيسور محسن العثماني الندوي
(رئيس مركز الدراسات العربية بـ (CIEFL) وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية)

تلقى نجيب محفوظ جائزة نوبيل في عام ١٩٨٨م فسطع نجمه وتخطى صيته حدود البلاد العربية، كتب روايات فأصبح أعرف من (قفانك ...) واشتهر صارم قلمه فصار أشهر من كل كاتب وشاعر، بدأ أعماله الأدبية قبل نصف قرن في ريعان شبابه، تربى في القاهرة وتخرج في كلية الآداب، ولم يكن من أسرة الأعيان بل كان ينتمي إلى البيوتات المتوسطة، يصور كل طبقات المجتمع بصفة عامة، والطبقة المتوسطة بصفة خاصة، يصورها تصويراً دقيقاً في شئونها وشجونها وأملها وآلامها وأفراحها وأتراحها، قلمه آلة تصوير الفتن، إنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، بدأ حياته الفنية بالترجمة فنقل من الإنجليزية كتاب : "مصر الفرعونية" ويبدو أن اشتغاله بتاريخ مصر القديمة خلال ترجمة هذا الكتاب دفعه إلى تحبير روايات تاريخية، ومن بينها (رادوبيس) و (كفاح طيبة) و (عبث الأقدار).

إن (همس الجنون) هو من باكورة إنتاجاته القصصية وغلبت على موضوعات مجموعة القصص هذه نزعة جنسية، ومن عادات القائلين بمذهب (الواقعية) أنه لا بد من الكشف على هذا المرض الخلقي المتفشي في المجتمع وهم يؤولون بذلك الإصلاح، وفضح الانحرافات المتصلة بعلاقة الرجل بالمرأة، ولكنه من المتأكد أن الكتابة الخليعة هي من دوافع الشر المستطير، وليس من شأنها إصلاح أخلاق الإنسان على الإطلاق، وفي هذه المجموعة ترى الرجال والنساء يتمرغون في القاذورة الجنسية ويتخبطون في مهاوي التشرد والشذوذ

والخيانة، ولا مرأى في أن انتشار مثل هذه القصص والروايات المكشوفة يسبب الانهيار الخلقي حتى يبلغ السيل الزبي، وأما رواياته التاريخية فإنه ألقى فيها الشناء العطر على الحضارة الفرعونية، وبذلك تعلد حدوده، ولم يلتزم بإسلاميته، وفي (رادوبيس) يقدم نجيب محفوظ حياة مصر في أيام فرعون ويحلولة إحياء عصر وحضارة قدر الله لها أن تدرس ولا تعود إلى أبد الآباد، وهكذا قصة (كفاح طيبة) و (عبث الأقدار) وليست رواياته الأخرى مثل : (السمان والخريف) و (اللعن والكلاب) و (القاهرة الجديدة) إلا إبراز بواليع نبتة متعفنة من المجتمع، فمثلاً في (القاهرة الجديدة) كتب صاحبنا نجيب محفوظ قصة الانهيار الخلقي : فإن بطل هذه القصة يصل إلى أرقى المناصب ويتقلب في أعطاف النعيم باكتسابه ود وزير من الوزراء فيتودده إلى درجة يسمح له بالتمتع من زوجته، فإن الزواج كان ستاراً لتلاعب الوزير الجنسي، يزعم النقاد أن الكاتب بذلك يصور بريشة قلمه المجتمع الخليع وعدم تكافؤ الفرص للجميع حتى لم يعد ممكناً لشخص عادي أن يصل إلى المنصب الأعلى بدون استعطف الوزير والكبير والتنصل عن الوفاء والمروعة لدرجة يتندى لها الجبين، وكذلك توجد النزعة الجنسية في (زقاق المدق) فيصور فيها نجيب محفوظ حياة الجنس وانتشار الفساد من جراء الفقر والبؤس والجوع والمسغبة، لا تجد بطلة الرواية (حميلة) لنفسها ما يسد رمقها أو يقيم عوجها، ومن يحمى ذمارها ويكسب لها العيش، فإن الفتى الذي يحبها لا يستطيع أن يتزوجها ويتكفلها فيسافر إلى الإسماعيلية ليحرب هناك حظه بالتجارة فيعود بعد فترة متمولاً غنياً فرحاً ليتزوج حبيبته، ولكن الحبيبية في غضون هذه الفترة قد تمادت في الآثام وأصبحت غانية من الغواني ترتكب البغي والفحشاء، وذلك لأن غنياً من الأغنياء استغل فقرها

المدقع وحالتها التعسة ، وترى مثل هذه القصة الجنسية في (البداية والنهاية) وفي (الطريق) وفي هذه الروايات المؤخرة الذكر قدم فيها نجيب محفوظ حيلة إنسان مجهول النسب لا يعرف من كان أباه لأن أمه بغية وغانية وتتخذ الدعارة مكسباً ، فتصبح حاملاً وتلد طفلاً يعاني من نفسية الحرمان .

ولعل أحسن رواياته (ثلاثيته) المعروفة وهي (بين القصرين) و (قصر الشوق) و (السكرية) نجد في هذه الروايات الثلاث قصة أسرة متوسطة في ثلاثة أجيال في فترة تتراوح ما بين ١٩١٩-١٩٣٠م ، في الرواية الأولى نرى عبد الجواد يتصف بأوصاف متناقضة فإنه متدين ومستهتر في نفس الوقت يصوم ويصلي ، يحج ويزكي ولكنه يعاقر بنت العنب ويضاجع بنات الليالي - وإنه استعرض ميولاً واتجاهات مختلفة ، دينية منها وشيوعية ، في شخصيات سلسلة هذه الروايات الثلاث .

من المؤسف جداً أنه خرج من قلمه المسموم والمشئوم كتابه : "أولاد حارتنا" الذي ما زال مفروض الحظر عليه في وطنه ، كم من الوقاحة والجسارة أنه في هذه الرواية تطاول على الله والرسول - صلوات الله عليهم وسلامه - وتجاوز الحد ، يعتبرها النقاد رواية رمزية فقد استعار كلمة (جبل لاوي) عليه السلام ، وإدريس لإبليس ، وأدهم لآدم عليه السلام ، وجبل لسيدنا موسى ، وعبدون لهارون عليه السلام ، وبلقيطي لشعيب عليه السلام ، وقاسم لسيدنا محمد نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وصديق لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فإن المؤلف تخلى عن كل ما يستلزمه الحياء والأدب والإيمان بالأنبياء والرسل فيتلاعب بكرامة أفضل أشخاص ولدوا في هذا الكون وعلى هذه الخليقة ، وتوجد قرابة قريبة بينه وبين سلمان رشدي حتى إنه لما احتج المسلمون في أرجاء العالم كله على (Satanic Verses) ، فكان نجيب محفوظ من بين الأتقياء الذين قاموا بالدفاع عنه .

وأنا الآن في هذا المقال بصدد استعراض روايته (عبث الأقدار) بقدر من التفصيل : تحاك لحمة هذه الرواية وسداها من الحضارة الفرعونية القديمة ، يرى المؤلف بمنظاره في هذه الحضارة عناصر العظمة السياسية والفنية والفكرية ، إن الروح القومية التي أثارت قريحة الكاتب ليتغنى بفضائل فرعون جعلته يتخبط في الظلام ، إن هذا الاعتزاز بعهد فرعون العفن يتنافى وروح الهداية الإسلامية .

تبتدئ القصة بتنبأ من الكهنة لدى ملك البلاد العظيم بأن مولوداً سيولد ببيلة (أون) يخلفه في الحكومة ويقضى على سلطة أسرته قضاءً باتاً ، ومع أنه لا راد للقضاء والقدر حاول بكل ما استطاع رد القضاء ، فيتهجم على البيلة بجيشه ولكن ينجو المولود الذي قدر الله له أن يتربع على عرش الحكومة ، وينزع السلطة من الأسرة الحاكمة ، إن مولوداً آخر يقتل من أبناء خادمة الكاهن فيحسب الملك أنه نال بغيته ، ولكن الذي كان هو المولود المقصود هربت به أمه ، وخادمتها تسمى : (زايا) ولكن الأم المسكينة قد ضاعت مع العربة في الطريق ، ولكن (زايا) تنقذ المولود حتى تصل به المكان الذي كان يعمل فيه زوجها في مشروع بناء الهرم الأكبر ، جاءت إلى مسكن زوجها لتزف إليه البشري بغلام أنجبه في بيلة ، أو (أون) وهي لم تعد عقة ، ولكن مفتش المشروع (بشارو) يخبرها عن وفاة زوجها مات واستمات من أجل تمجيد الوطن ، وما لبث أن تزوجها لأن زوجته كانت قد توفيت قبل حين ، وهو كان يبحث عن امرأة صالحة تقوم برعايته ورعاية أطفاله ، فعاشت (زايا) قرينة (لمفتش المشروع) هنيئة سعيدة تقوم بواجباتها المنزلية ، وإن هذا المولود الصغير الذي أتت به من (أون) خوفاً على حياته قد نشأ وترعرع في أكناف هذه الأسرة الشريفة وتعلم وتثقف وتخرج في مدرسة عسكرية

وفاق أترابه في التعليم ، وأصبح فتى مرموق النظر مثقفاً بثقافة عصره ومصره ، وإنه أثبت براعته وتفوقه في كافة المسابقات ، الأمر الذي أغرى ولي العهد أن يستخلصه لنفسه ويعينه ضابطاً من ضباط حرسه ، وبهذا الطريق دخل هذا الفتى القصر الملكي محترماً عزيزاً ولكنه وقع في حب الأميرة الجميلة الرشيدة ، والأميرة في بداية الأمر لم تلتفت إلى الضابط أيما التفات ، ولكن (درف) المولود الناجي والفتى المثقف المنتمي إلى سلك الضباط العسكريين قد استلقت انتباه الجميع في البلاط الملكي بأعماله الجليلة وصنائه الجرئة فأنقذ ولي العهد من الهلاك المحقق أثناء مهمته الاصطيادية عندما وثب عليه الأسد ولكن سرعان ما تهجم الفتى على الأسد وأرداه قتيلاً ، وأصبح الأسد في تلك اللحظة جثة (هاملة لا حراك بها) وذلك مما وصل به إلى أرقى درجات وجعله يتولى منصب رئيس الضباط ، ولما رجع من مهمة سيناً غائماً وظافراً مظفراً ، سأله الملك فرعون صاحب الجلالة أن يقدم إليه أكبر تمنياته ، فإنه تقدم بعرض أمنيته التي هي مطمحها الأعلى والأحلى في حياته ، وهي الزواج مع الأميرة ابنة صاحب الجلالة ، فلبى الملك هذا الطلب ، وهو كان ذلك المولود الذي تنبأ عنه الكاهن ولكن فرعون المسكين لم يخطر على باله شيء عن حقيقة المولود الذي شب عن الطوق عند مفتش مشروع الهرم وأصبح قائداً في مملكته ، وهكذا شاءت الأقدار أن تهون كل صعوبة تعترض في سبيل تربيته العرش ، وكان من الصدفة ، ومشية الأقدار أنه وجد أمه المفقودة التي كانت تتسلل به لواذا من (أون) اتقاء من الشر ، فبعد حرب سيناء عندما كان يتفقد (درف) قائد البلاد أسرى الحرب وجد امرأة تتكلم بلغة مصرية وقد أقنعتته بأنها ليست من المناوئين للوطن بل كانت فريسة لاعتداء البدو وظلت حبيسة بينهم منذ ملة طويلة ، فإنها نالت

من قلبه موضع محبة وحنان ، فلم يطلق سراحها فحسب ، بل واستصحبها إلى بيته مفتش المشروع (بشارو) وأخبر أمها (زايا) عن هذه المرأة الضيفة ، والمعلوم أن (زايا) لم تكن والدته الحقيقية ، فمما أن رأت المرأة الضيفة (زايا) ، صاحت : زايا ، زايا الخائنة ، وعرفت (زايا) تلك المرأة الضيفة وأدركت حقيقتها ، ففي ذلك الحين ، إنها قصت قصتها وكيف تهربت به وأنقذت المولود عندما ضلت الأم والعربة في الطريق ، إن المفتش (بشارو) كان يسترق السمع من وراء الباب وأدرك أن المولود الذي ربه في بيته وثقفه أحسن ثقافة حتى أصبح قائد القوات الفرعونية وختنا للملك ، هو ليس إلا ذاك الوليد الذي تنبأ به الكاهن وكان يقشعر به الملك ويرتعد جنانه مخافة مصير الملك ، فأراد المفتش أن ييوج بهذا السر للملك وفاءً لوطنه وللأسرة المالكة ، وهنا يوجد انعطاف جديد في القصة ، وهو أن ولي عهد المملكة يدبر خطة لاغتيال أبيه ليعتلي العرش قبل أوانه ، فإن الفتى القائد وختن الملك تنبه إلى هذه المؤامرة لاغتيال الملك عندما يؤوب من الهرم صباح اليوم التالي ، فهرع الفتى القائد مع رحاله لإحياء الدسياسة في وقتها ونجح في المهمة ، وقد زاد هذا المعروف من قبل الفتى حب الملك له والإعجاب به ، حتى إنه قرر تسليم العرش إليه والتنازل في حقه عن الحكم وأعلن بذلك ، وفي تلك اللحظة الحاسمة يصل (بشارو) في بلاط الملك وتقدم بتحياته الرسمية ، واستأذن الملك بحكاية ما جاء به على مسمع من الوزراء وكبار البلاط ، فأذن له وقص عليهم القصة بكاملها ، استغرب فرعون من هذه القصة ولم يدر ماذا يفعل ، وكان الملأ في انتظار رد الفعل من الملك ، ولكن نجيب محفوظ قدم شخصية فرعون في صورة رجل حازم وقور وحليم ، بعد لحظات يعاود فرعون رشده وأراد أن يستسلم أمام الأقدار فلم يبق له خيار دون ذلك لأن

غضبه قد استشاط لابنه على المؤامرة الأثيمة ضد نفسه ، وقرر نهائياً تولية الفتى القائد الختن زمام الحكم والسلطة ، وبقي مدى حياته شاكراً على ما قدر له وما جف عليه القلم .

نرى المؤلف مفعماً بالشعور القوي للتعاطف على التاريخ الفرعوني فيجري على لسان المهندس مؤسس الهرم هذه العبارة أمام الملك .

لقد شيد اليوم يا مولاي شعار مصر الخالدة وعنوانه الصادق ، فهو ابن القوة التي تربط شمالها بجنوبها وهو وليد الصبر الذي يغمر صدور بنيتها جميعاً من الضارب الأرض بفأسه إلى الكاتب على الطرس بقلمه ، وهو وحي الدين الذي تحقق به قلوب أهلها ، وهو مثل العبقريّة التي جعلت من وطننا سيّداً على التي تسبح الشمس حولها في السفينة المقدسة وسيظل أبداً الوحي الخالد الذي يهبط على قلوب المصريين فيؤيدها ويلهمها الصبر ويحثها على الدين ويدفعها إلى الإبداع (عبث الأقدار : ص/ ٩٤) .

إن الكاتب قد أحاط الحضارة الفرعونية بهالات التقديس والإجلال وقد فرش لها المحاجر والقلوب وبجلها تبجيلاً لا يليق لرجل ولد عن أبوين مسلمين ، وإن نجابة مؤمن ليست إلا بانتمائه إلى الإسلام وشعائره ، وتزول نجابته باعتداده ما يناوئ الإسلام ، هذه جناية كبيرة وذنب عظيم لا يغتفر ، ارتكبه نجيب محفوظ فلم يعد نجيباً ولا محفوظاً فهو غير محفوظ في دينه وسلامة عقيدته ، وغير نجيب محفوظ تغييراً يسيراً في قصة موسى وفرعون المذكورة في القرآن الكريم ، ولعله لم تعجبه القصة القرآنية ، وقدم شخصية فرعون في صورة بطل تاريخي عظيم مع أن فرعون في القرآن شخص بغيض ممقوت ثائر على الله سبحانه وعدو لرسوله يستحق اللعنة في الدنيا والآخرة ، في

الواقع ابتليت مصر بفتنة الحضارة الفرعونية وهبت فيها عاصفة القومية هوجاء وقد وقع كثير من أبناء العرب عرضة لهذه الفكرة الأثيمة ، وبرزت القيادة في تلك البلاد ، ترى التخلص من أثر الإسلام في النفوس ، أهم وأقدم من محاربة الصهيونية واستعادة المقدسات الإسلامية ، وترى إزالة هذه الأنقاض والركام - على حد تعبيرها - شرطاً لبناء المجتمع الجديد ، وقد حلت القومية العربية والاشتراكية محل العقيدة الدينية ، وكان لها كل ما كان للدين من إيمان وحماسة وعصبية وحمية ، فكانت فتنة عمياء أعمت أبصار الناس وقلبت الحقائق وأنكرت البديهيّات فكانت موجة عارمة في الشرق العربي ، اكتسحت الصحافة والأدب ودور العلم ومراكز النشر ، وما صمد في وجهها إلا من رحم ربه ، وأتى الله بقلب سليم .

وإن هذه الرواية لا تخلو من لحن القول والأخطاء النحوية ولعل كاتبها لم يملك على ناصية البيان في أوان تأليفها على الأقل ، وفيما يلي بعض نماذج هذه الأخطاء :

١- أمنك من عاقبة ما تقول (عبث الأقدار : ص/ ١٢) والصحيح أوأمّنك ، وذلك ما كان يريد في الحوار لأن المتعلي المطلوب فهو "أو من" ماضي "أمّنت" .

٢- وكان الفناء عظيم الاتساع تربو مساحته في قرية كبيرة ومحوط من ثلاث جهات بسور ضخّم (عبث الأقدار : ص/ ٨٩) وكان الصواب أن يقول : "ومحوطاً" لأنه معطوف على خبر كان .

٣- ولكن إذا ذكر بالموت أن لا يوجب شيئاً من التأسّي ، (عبث الأقدار : ص/ ٩٧) والمؤلف يريد "الأسّي" من غير شك ولا تنفع هنا كلمة "التأسّي" ، ومعنى "التأسّي" اتخاذ الأسوة .

٤- "شجاع لا يهاب الموت جسور لا يلوي على المخاطر" فالمراد

أنه لا يبالي بالمخاطر ، وعبرة "لا يلوي على المخاطر" لا تغنى عن المراد .
هذا وإن كتابي (نجيب محفوظ - في ميزان النقد (١)) يختلف
من جميع الكتب التي ألفت حول هذا الأديب الروائي في غضون
سنوات غابرة ، نرى الكتاب الناقدين يهللون له ويسبحون بحمليه
ويعطرون عليه وابلاً من الثناء العطر ، وإن هذا الكتاب - على عكس
ذلك - يضعه في ميزان النقد يثني عليه في موضع الثناء وينقله نقداً
لاذعاً في موضع النقد لاستهتاره القيم الخلقية وتلاعبه بسميزات
الحضارة الإسلامية ، وحبه لإشاعة الفحشاء في المجتمع الإسلامي الملتزم .

ويشتمل هذا الكتاب على مجموعة من المقالات التي ديجتها أقلام
أساتذة الهند والتي أقيمت في ندوة حول الكاتب انعقدت في المعهد المركزي
للغة الإنجليزية واللغات الأجنبية (سيفل) في حيدرآباد (الهند) تحت إشراف
مركز الدراسات العربية ، وافتتحها سعادة سفير جمهورية مصر العربية
السيد خير عبد اللطيف ، وذاع صيت هذه الندوة في البلاد والعباد حتى
بلغ الخبر إلى مسامع نجيب محفوظ واتصل بسعادة السفير المصري تلفونيا
وسأله عن أهداف الندوة واتصل السفير برئيس مركز الدراسات العربية
مستفسراً عن المقالات ، فقلت له : إن الهند تتمتع بالحرية الكاملة لا
نستطيع أن نفرض الحظر على أفكار أحد من الكتاب المساهمين في الندوة
فنقدم هذه المجموعة لكل من يريد أن يعرف نجيب محفوظ معرفة كاملة ، ولا
شك أنه كاتب فذ ومبدع عظيم ومثابر ومعطاء ورائد من رواد الرواية
العربية لا ينضب معينه ولا تفرغ جعبته ، بذ وفاق كثيراً من الكتاب لا
يختلف فيه اثنان .

(١) قام المعهد المركزي للغة الإنجليزية واللغات الأجنبية في مدينة "حيدرآباد"
الهند ، بطبع هذا الكتاب قبل عامين .

إننا لا ننكر هذه الجوانب من شخصيته والزخم الكبير من
إنتاجه ، ولكن الجانب الذي هو موضع نقد مريب إنما هو انتمائه
الفكري والعقائدي ، ومن هذه الناحية نرفض نجابته ومحفوظيته وإنه
وعشرات من الكتاب مثله لا يستحقون أن يعيشوا في بلد فتحه
صحابي الرسول عمرو بن العاص لنشر الإسلام وترسيخ عقائد
الإسلام ، إن أعماله القصصية تصور مصر كلها كأنها بؤرة فساد
ومزبلة ، وإن هذه الأعمال لا تخلق نقمة وكراهية واشمئزازاً لهذه
الانحرافات الخلقية التي يصورها في قصصه وروايته ، إن الذين
يقرأون رواياته للتسلية وقتل الوقت وترجية الفراغ بدون عين ناقلة
ونظرة نافذة لا يدركون تماماً ما يخفى في قاعها من سوءات وسيئات ،
ومحور اهتمامه ليس الأخلاق الشرقية الإسلامية والحث على التحلي
بها ، ألم يكن في مصر الأزهر الشريف ومجموعة من الأبرار الأخيار
والمجتمع المتدين يخشى الله في السر والعلن فلماذا لم يتناول هذه
الجوانب في كتابة القصة ؟ إننا نعرف تماماً أن ألوفاً من الكتاب
ينوهون ويشيدون ويطلبون له ويمجدونه ويكتبون عنه اطناناً من
الصفحات يلقون عليه وابلاً من الثناء العطر لنيله جائزة نوبيل
للآداب لعام ١٩٨٨م ولكن هذه الجائزة ليست مقياساً لصحة فكره
وعقيدته وانتمائه .

عقدنا ندوة حول نجيب محفوظ ووجهنا الدعوة إلى أساتذة اللغة
العربية من الجامعات ومراكز التعليم والتربية والثقافة في الهند فألقيت في
هذه الندوة عدة مقالات لسبر أغوار هذا الكاتب ، وهي تقوم بعملية
التشريح لنجيب محفوظ فرأيت من الواجب أن تجمع هذه المقالات في
صورة كتاب ليكون نموذجاً للكتاب في العالم العربي لئلا يكونوا مبهورين
أمام الجوائز العالمية ويبيعوا ضمائرهم ، ولئلا تكون هذه الجوائز مبلغ
طموحهم وغاية أملهم ومنتهى عزهم ، والله ولي التوفيق .

مصارف الزكاة وجهاتها !

بقلم : الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
(Email:ashmon59@yahoo.com)

لقد حدد الإسلام الجهات التي تصرف إليها وفيها الزكاة ، فلم يدعها لأهواء الحاكمين لينفقوا منها على مظاهر البذخ والترف ، أو على الأتباع والأنصار من حولهم ، ولم يدعها لهم لكي يقسموها ، وفق رأي قاصر ، أو هوى متسلط ، أو عصبية جاهلية ، ولم يدعها كذلك لرغبات الطامعين فيها وهم لا يستحقونها ، الذين لا يتورعون أن تمتد أيديهم إلى ما ليس لهم ، ويزاحمون بمناكبهم المستحقين من أهل الفاقة والحاجة الحقيقيين ، وفي عهد رسول الله ﷺ تطلع بعض ذوي الأعين الشرهة والأنفس النهممة ، وسال لعابهم إلى أموال الصدقات ، متوقعين من رسول الله ﷺ أن ينفحهم منها نفحات تشبع من طموحهم ، وترضي من شرهم ، فلما ضرب الرسول الكريم ﷺ عنهم صفحاً ولم يلق إليهم بالاً ، غمزوا ولمزوا ، وتناولوا على المقام النبوي الكريم ، فنزلت آيات الكتاب تفضح نفاقهم ، وتكشف شرهم ، وتبين جور موازينهم النفعية الشخصية ، وتبين المصارف التي يجب أن توضع فيها الزكاة ، وفيهم قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ * فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا * وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا * إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ (التوبة/ ٥٨) ثم بين تعالى مصارف الزكاة بقوله : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا * وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ * وَفِي الرِّقَابِ * وَالْغَارِمِينَ * وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ * فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ * وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة/ ٦٠) وهكذا تولى الله تعالى بنفسه في كتابه الكريم ، توزيع الزكاة ، فليس لبشر بعد ذلك أن يحولها

عن مصارفها الثمانية إلى مصارف تخدم هواه ... (١) كما ورد في الحديث الشريف عن النبي الكريم ﷺ ما رواه أبو داود عن زياد بن الحارث الصدائي قال : أتى رسول الله ﷺ رجل ؛ فقال : أعطني من الصدقة ، فقال له رسول الله ﷺ : " إن الله لم يوص بحكم نبي ولا غيره في الصدقة حتى حكم فيها فجزأها ثمانية أجزاء ، فإن كنت من هذه الأجزاء أعطيك حَقَّكَ " (رواه أبو داود) ... (٢) ولا يجوز استخدام حصيلة الزكاة للصرف على غير الفئات الثمانية المحددة في القرآن ، فعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : " إني والله لا أعطي أحداً ولا أُمْنَعُ أحداً وإنما أنا قاسم أضع حيث أُمِرْتُ " ... (٣).

وأول هذه المصارف أو الأصناف هم الفقراء ، وثانيهما المساكين وقد اختلف الفقهاء والمفسرون في تحديد مفهوم الفقير والمسكين ، والفرق بينهما ، وأيهما أسوأ حالاً ؟ وهو خلاف لا يترتب عليه حكم في باب الزكاة ، بعد أن اتفق الجميع على أنهما صنفان لنوع واحد من المستحقين من أهل الفاقة والاحتياج ، وإذا ذكر أحدهما منفرداً في نص أريد به ما يشمل الآخر ، يقول الرسول الكريم ﷺ : " ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة واللقمتان إنما المسكين الذي يتعفف أقرأوا إن شئتم ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً ﴾ " (البقرة/ ٢٧٣) ، وفي رواية أخرى : " ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرمة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يقوم ؛ فيسأل الناس " (متفق عليه) ، وهذا الحديث يكشف لنا النقاب عن مسألة هامة فكثيراً ما يحصر الناس صورة المسكين أو الفقير أو ذلك الشخص المشهور بالفقر المتظاهر بالسكنة ، الماديته بالسؤال ، ولكن المسكين الذي نبه رسول الله ﷺ الناس عليه يشمل

كثيراً من أصحاب البيوت وأرباب الأسر المتعففين ، الذين أخنى عليهم الزمن أو ضاقت موارد رزقهم عن سد حاجاتهم ، أو كان دخلهم من عملهم لا يكفي مطالبهم المعقولة ، فلا بأس أن يعطى هؤلاء من مال الزكاة ، ولقد سأل رجل الحسن البصري عن الرجل تكون له الدار والخادم أفيأخذ الصدقة ؟ قال : يأخذ الصدقة إن احتاج ولا حرج !! ... (٤) ويرى جمهور الفقهاء أن الفقير أسوأ حالاً من المسكين ، وحدده بعضهم بقوله : الفقير من لا يملك شيئاً أو يملك دون نصف الكفاية لنفسه ولمن يعوله ، والمسكين من يملك نصف الكفاية أو معظمها ، ولكن لا يملك تمام الكفاية ، والفقراء والمساكين هم أول من تصرف لهم الزكاة حتى إن النبي الكريم ﷺ ، لم يذكر في بعض المواقف إلا هذا المصرف لأنه المقصود أولاً ، كأمره لمعاذ وقد بعثه إلى اليمن أن يأخذها من أغنيائهم ويردها في فقرائهم ، وحتى ذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أن الزكاة لا تصرف إلا لفقير ، ومن ملك نصاباً ، من أي نوع من أنواع المال ، وهو لا يقوم بكفايته لكثرة عياله ، أو لغلاء السعر ، فهو غني ، من حيث إنه يملك نصاباً ، فتجب الزكاة في ماله ، وفقير من حيث إن ما يملكه لا يقوم بكفايته ، فيعطى من الزكاة كالفقير ، قال النووي : ومن كان له عقار ، ينقص دخله عن كفايته ، فهو فقير ، يعطى من الزكاة تمام كفايته ، ولا يكلف بيعه ، وفي المغني قال الميمون : ذكرت أبا عبد الله ، أحمد بن حنبل ، فقلت : قد يكون للرجل الإبل والغنم ، تجب فيها الزكاة وهو فقير ، وتكون له أربعون شاة ، وتكون له الضيعة لا تكفيه ، فيعطى الصدقة ؟ قال : نعم ، وذلك لأنه لا يملك ما يغنيه ، ولا يقدر على كسب ما يكفيه ، فجاز له الأخذ من الزكاة ، كما لو كان ما يملك ، لا تجب فيه الزكاة ، سأل الإمام أحمد في الرجل : إذا كان له عقار يستغله ، أو ضيعة تساوي

عشرة آلاف درهم أو أقل من ذلك أو أكثر ، ولكنها لا تقيمه يعني لا تقوم بكفايته ؟ فقال : يأخذ من الزكاة ، وقال الشافعية : إذا كان له عقار ، وينقص دخله عن كفايته فهو فقير أو مسكين ، فيعطى من الزكاة تمام كفايته ، ولا يكلف بيعه ، وقال المالكية : يجوز دفع الزكاة لمن يملك نصاباً أو أكثر ، لكثرة عياله ، ولو كان له الخادم والدار التي تناسبه ، وقال الحنفية : لا بأس بأن يعطى من الزكاة من له مسكن ، وما يتأثت به في منزله ، وخادم وفرس وسلاح وثياب البدن ، وكتب العلم إن كان من أهله ، واستدلوا بما روي عن الحسن البصري أنه قال : كانوا يعطون الزكاة لمن يملك عشرة آلاف درهم من الفرس والسلاح والخادم والدار ، فليس المقصود بالزكاة إذن إعطاء المعدم المترب فقط ، ذلك الذي لا يجد شيئاً ، أو لا يملك شيئاً ، وإنما يقصد بها أيضاً إغناء ذلك الذي يجد بعض الكفاية ، ولكنه لا يجد كل ما يكفيه ... (٥) .

العاملون على الزكاة : وهم الذين يوليهم الإمام أو نائبه ، للعمل على جمع الزكاة وهم الجبة ، ويدخل فيهم الحفظة لها ، وهم الخزنة ، والعاملون على حراستها ورعايتها ، أو كتابتها في دواوين وما إلى ذلك ، والعاملون على توزيعها على مستحقيها ، وصرفها في مصارفها الشرعية ، ويجب أن يكونوا من المسلمين ، وأن لا يكونوا ممن تحرم عليهم الصدقة ، من آل رسول الله ﷺ ، وهم بنو عبد المطلب ، قال عليه الصلاة والسلام : "إن الصدقة لا تنبغي لحمد ولا لآل محمد إنما هي أوساخ الناس" (رواه أحمد ومسلم) ، ويجوز أن يكونوا من الأغنياء ، فعن أبي سعيد أن النبي الكريم ﷺ قال : "لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة لعامل عليها أو رجل اشتراها بماله أو غارم أو غار في سبيل الله أو مسكين تصدق عليه منها فأهدى منها لغني" (رواه أحمد

وأبو داود وابن ماجة والحاكم، وأن أخذهم من الزكاة، إنما هو أجر نظير أعمالهم، وينبغي أن تكون الأجرة بقدر الكفاية، فعن المستورد بن شداد: أن النبي الكريم ﷺ قال: "من ولي لنا عملاً وليس له منزل فليتخذ منزلاً أو ليست له زوجة فليتزوج أو ليس له خادم فليتخذ خادماً أو ليست له دابة فليتخذ دابة ومن أصاب شيئاً سوى ذلك فهو غال" (رواه أحمد وأبو داود وسنده صالح) ... (٦).

والمؤلفة قلوبهم: وهم الجماعة الذين يراد تأليف قلوبهم وجمعها على الإسلام أو تثبيتها عليه، لضعف إسلامهم، أو كف شرهم عن المسلمين، أو جلب نفعهم في الدفاع عنهم، وقد قسمهم الفقهاء إلى مسلمين وكفار، أما المسلمون فهم أربعة: أولهم: قوم من سادات المسلمين وزعمائهم، لهم نظراء من الكفار، إذا أعطوا رجي إسلام نظرائهم، كما أعطى أبو بكر رضي الله عنه علي بن حاتم، والزبرقان ابن بدر مع حسن إسلامهما، لمكانتهما في قومها، ثانيهم زعماء ضعفاء الإيمان من المسلمين، مطاعون في أقوامهم يرجى بإعطائهم تثبيتهم، وقوة إيمانهم، ومناصحتهم في الجهاد وغيره، كالذين أعطاهم النبي الكريم ﷺ العطايا الوافرة من غنائم هوازن، وهم بعض الطلقاء من أهل مكة، الذين أسلموا، فكان منهم المنافق، ومنهم ضعيف الإيمان، وقد ثبت أكثرهم بعد ذلك، وحسن إسلامه.

ثالثهم قوم من المسلمين في الثغور، وحدود بلاد الأعداء يعطون، لما يرجى من دفاعهم، عما وراءهم من المسلمين إذا هاجمهم العدو، قال صاحب المنار وأقول: إن هذا العمل هو المراقبة وهؤلاء الفقهاء يدخلونها في سهم سبيل الله، كالغزو المقصود منها: وأولى منهم بالتأليف في زماننا، قوم من المسلمين يتألفهم الكفار ليدخلوهم تحت حمايتهم، أو في دينهم، فإننا نجد دول الاستعمار الطامعة في

استعباد جميع المسلمين، وفي ردهم عن دينهم يخصصون من أموال دولهم سهماً، للمؤلفة قلوبهم من المسلمين، فمنهم من يؤلفونه لأجل تنصيره، وإخراجه من حظيرة الإسلام، ومنهم من يؤلفونه لأجل الدخول في حمايتهم، ومشاقة الدول الإسلامية، والوحدة الإسلامية، أفليس المسلمون أولى بهذا منهم؟

رابعهم قوم من المسلمين يحتاج إليهم لجباية الزكاة، وأخذها ممن لا يعطيها إلا بنفوذهم وتأثيرهم، إلا أن يقاتلوا، فيختار بتأليفهم وقيامهم بهذه المساعدة للحكومة أخف الضررين، وأرجح المصلحتين. وأما الكفار فهم قسمان: أولهما من يرجى إيمانه بتأليفه، مثل صفوان بن أمية، الذي وهب له النبي الكريم ﷺ، الأمان يوم فتح مكة، وأمهلته أربعة أشهر لينظر في أمره ويختار لنفسه، وكان غائباً فحضر وشهد مع المسلمين غزوة حنين قبل إسلامه، وكان النبي الكريم ﷺ استعار سلاحه منه لما خرج إلى حنين، وقد أعطاه النبي الكريم ﷺ إبلاً كثيرة محملة، كانت في واد فقال: هذا عطاء من لا يخشى الفقر، وقال: والله لقد أعطاني النبي الكريم ﷺ، وأنه لأبغض الناس إلي، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي، ثانيهما من يخشى شره، فيرجى بإعطائه كف شره، قال ابن عباس: إن قوماً كانوا يأتون النبي الكريم ﷺ، فإن أعطاهم، مدحوا الإسلام، وقالوا: هذا دين حسن، وإن منعهم، ذموا، وعابوا، وكان من هؤلاء أبو سفيان ابن حرب، والأقرع بن حابس، وعيينة ابن حصن، وقد أعطى النبي الكريم ﷺ، كل واحد من هؤلاء، مائة من الإبل، وذهبت الأحناف إلى أن سهم المؤلفة قلوبهم قد سقط بإعزاز الله لدينه، فقد جاء عيينة ابن حصن، والأقرع بن حابس، وعباس بن مرداس، وطلبوا من أبي بكر نصيبهم، فكتب لهم به، وجاءوا إلى عمر بن الخطاب،

وأعطوه الخط ، فأبى ومزقه ، وقال : هذا شيء كان النبي الكريم ﷺ يعطيكموه ، تأليفاً لكم على الإسلام ، والآن قد أعز الله الإسلام ، وأغني عنكم ، فإن ثبتم على الإسلام ، وإلا فبيننا وبينكم السيف : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ * فَمَنْ شَاءَ * فَلْيُؤْمِنْ * وَمَنْ شَاءَ * فَلْيُكْفُرْ ﴾ فرجعوا إلى أبي بكر رضي الله عنه ، فقالوا : الخليفة أنت أم عمر ؟ بذلت لنا الخط فمزقه عمر ، فقال : هو إن شاء ، قالوا : إن أبا بكر وافق عمر ، ولم ينكر أحد من الصحابة كما أنه لم ينقل عن عثمان وعلي أنهما أعطيا أحداً من هذا الصنف .

وقد روى أحمد ومسلم عن أنس أن النبي الكريم ﷺ لم يكن يُسأل على الإسلام إلا أعطاه ، فأتاه رجل فسأله ، فأمر له بشيء كثير ، بين جبلين ، من شاء الصدقة ، فرجع إلى قومه فقال : يا قوم أسلموا ، فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة ، قال الشوكاني : وقد ذهب إلى جواز التأليف العترة والجباني والبلخي وابن مبشر وكذا مالك وأحمد ورواية عن الشافعي ، وقال الشافعي : لا تتألف كافراً ، فأما الفاسق فيعطى من سهم التأليف ، وقال أبو حنيفة وأصحابه : قد سقط بانتشار الإسلام وغلبته ، واستدلوا على ذلك ، بامتناع أبي بكر من إعطاء أبي سفيان وعيينة والأقرع وعباس ابن مرداس ، والظاهر جواز التأليف عند الحاجة إليه ، فإذا كان في زمن الإمام قوم لا يطيعونه إلا للدنيا ، ولا يقدر على إدخالهم تحت طاعته إلا بالقسر والغلب فله أن يتألفهم ، ولا يكون لفشو الإسلام تأثير ، لأنه لم ينفع في خصوص هذه الواقعة ، وفي المنار : هذا هو الحق في جملته ، وإنما يجيئ الاجتهاد في تفصيله من حيث الاستحقاق ، والمقدار الذي يعطى من الصدقات ، ومن الغنائم إن وجدت ، وغيرها من أموال المصالح ، والواجب فيه الأخذ برأي أهل الشورى ، كما كان يفعل الخلفاء في الأمور الاجتهادية ،

وفي اشتراط العجز عن إدخال الإمام إياهم تحت طاعته بالغلب نظر ، فإن هذا لا يطرد ، بل الأصل فيه ترجيح أخف الضررين ، وخير المصلحتين ... (٧) فوجود هذا الصنف يرجع إلى إمام المسلمين وأهل شوره ، فإن رأى أن يتألف قوماً لمعنى من المعاني التي ذكرناها كان له أن يعطيهم سهماً من مال الزكاة ، وإن لم يجد ضرورة لذلك كما فعل عمر فليس بمفروض عليه أن يخلق هذا الصنف ، فيسقط سهمهم لعدم وجودهم ، كما إذا لم يوجد الفقراء أو الغارمون أو الرقاب ، ويمكن أن ينفق السهم في عصرنا للتبشير بالإسلام ... (٨) .

وفي الرقاب : ويشمل المكاتبين والأرقاء ، فيعان المكاتبون بمال الصدقة لفك رقابهم من الرق ، ويشتري به العبيد ويعتقون ، فعن البراء قال : جاء رجل إلى النبي الكريم ﷺ فقال : دلني على عمل يقربني من الجنة ، ويبعدني من النار فقال : (أعتق النسمة وفك الرقبة) فقال : يا رسول الله ! أو ليسا واحداً ؟ قال : (لا ، عتق الرقبة أن تنفرد بعقتها وفك الرقبة أن تعين بثمانها) (رواه أحمد والدارقطني ورجاله ثقات) ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي الكريم ﷺ قال : "ثلاثة كلهم حق على الله عونهم ، الغازي في سبيل الله ، المكاتب الذي يريد الأداء ، والناكح والمتعفف" (رواه أحمد وأصحاب السنن) ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، قال الشوكاني : قد اختلف العلماء في المراد بقوله تعالى : ﴿ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ فروي عن علي بن أبي طالب وسعيد بن جبير والليث والثوري والعترة والحنفية والشافعية وأكثر أهل العلم : أن المراد به المكاتبون ، من الزكاة على الكتابة ، وروي عن ابن عباس والحسن البصري ومالك وأحمد بن حنبل وأبي ثور وأبي عبيد وإليه مال البخاري وابن المنذر : أن المراد بذلك أنها تشتري رقاب لتعتق ، واحتجوا بأنها لو اختصت بالمكاتب لدخل في حكم الغارمين ، لأنه

غارم ، وبأن شراء الرقبة لتعتق أولى من إعانة المكاتب ، لأنه قد يعان ولا يعتق ، لأن المكاتب عبد ، ما بقي عليه درهم ، ولأن الشراء يتيسر في كل وقت ، بخلاف الكتابة ، وقال الزهري : إنه يجمع بين الأمرين ، وهو الظاهر ، لأن الآية تحتمل الأمرين ، وحديث البراء المذكور ، فيه دليل على أن فك الرقاب غير عتقها ، وعلى أن العتق ، وإعانة المكاتبين على مال الكتاب ، من الأعمال المقربة إلى الجنة والمبعدة من النار ... (٩) .

الغارمون : هم الذين أثقلتهم الديون ، وتعذر عليهم أداؤها ، وهم نوعان الأول غارم لمصلحة نفسه في أمر مباح شرعاً ، وهم الذين سددنا حاجتهم للاستدانة ، على أن تكون هذه الديون في غير معصية الله ، وفي غير سفاهة وإسراف ، فإن العاصي لا يعان بمال الله على معصية الله ، والسفيه لا يعان أيضاً على سفهه ، إلا إذا تابا إلى الله واستقاما وعرفت توبتهما واستقامتهما ، والإسلام يكره للمسلم أن يستدين فإذا استدان بسبب مشروع ، عاونه على التخلص من ربة الدين ، فالدين هم بالليل وذل بالنهار ، والإسلام لا يجب للمسلم هما ولا ذلاً ، بل إنه يقيه من عثرته وينشله من وهدهته ولا يتركه يسقط فريسة الديون ويعلن إفلاسه ، وهكذا يأخذ الإسلام بيد الغارم المجهود ولا يكلفه بيع حوائجه الأصلية ليسدد ما عليه ويعيش فارغاً من المقومات الأساسية للحياة محروماً من كل أثاث ومتاع يليق بمثله ، كتب عمر بن عبد العزيز في خلافته إلى ولاته أن اقضوا عن الغارمين ، فكتب إليه من يقول : إنا نجد الرجل له المسكن والخدام والفرس والأثاث ، أي وهو مع ذلك غارم ، فكتب عمر إنه لا بد للمرء المسلم من مسكن يسكنه وخدام يكفيه مهنته وفرس يجاهد عليه عدوه ، ومن أن يكون له الأثاث في بيته ، نعم فاقضوا عنه فإنه غارم ،

أما النوع الثاني : فهو غارم في مصلحة الناس عند المصلحة بين المتخصصين ، فمنهم من تحمل حمالة ، أو ضمن ديناً فلزمه ، ق العلماء : والحمالة ، ما يتحمله الإنسان ، ويلتزمه في ذمته بالاستدانة ليدفعه في إصلاح ذات البين ، وقد كانت العرب إذا وقعت بينهم فتنة ، اقتضت غرامة في دية ، أو غيرها ، قام أحدهم فتبرع بالتزام ذلك والقيام به ، حتى ترتفع تلك الفتنة الشائنة ، ولا شك أن هذا من مكارم الأخلاق ، وكانوا إذا علموا أن أحدهم تحمل حمالة بادروا إلى معونته ، وأعطوه ما تبرأ به ذمته ، وإذا سأل في ذلك لم يعد نقصاً في قدره ، بل فخراً ، ولا يشترط في أخذ الزكاة فيها ، أن يكون عاجزاً عن الوفاء بها ، بل له الأخذ ، وإن كان في ماله الوفاء ، ويروي لنا الإمامان أحمد ومسلم عن قبيصة بن مخارق الهلالي ، قال تحملت حمالة فأتي رسول الله ﷺ ، أسأله فيها فقال : (أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها) ؛ ثم قال : (يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك "أي يكف عن السؤال" ورجل أصابته جائحة "أي كارثة" اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش أو قل سداداً من عيش ، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجا من قومه لقد أصابت فلاناً فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش أو قل سداداً من عيش ، فما سواهن من المسألة يا قبيصة فسُحت يأكلها صاحبها سحتاً) .

وروى أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذي عن أنس رضي الله عنه : أن النبي الكريم ﷺ قال : "لا تحل المسألة إلا لثلاث لذي فقر مدقع أو لذي غرم مفظع أو لذي دم موجد" .

وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أصيب رجل في

عهد رسول الله ﷺ في ثمار اتباعها فكثير دينه ؛ فقال النبي الكريم ﷺ :
 "تصدقوا عليه" فتصدق الناس عليه ، فلم يبلغ ذلك وفاء دينه ، فقال
 النبي الكريم ﷺ لغرمائه : (خذوا ما وجدتم وليس لكم إلا ذلك)
 وإنها لروعة من الإسلام أن يمد بالمال كل غارم لإصلاح ذات البين
 وإقرار السلام والوئام ، وروعة منه أن يمد بالمال والمعونة أصحاب
 الكوارث والحوائج ويأخذ بيدهم لينهضوا قبل أن تعرف الدنيا
 بقرون نظام التأمين على الأشياء والممتلكات ضد الحوادث والأخطار ،
 وروعة منه أن يفتح ذراعيه بالمعونة للفقير الذي يشهد ثلاثة من ذوى
 الحجا من قومه أنه قد أصابته فاقة لا لكل من يظهر الفاقة ويدعى
 المسكنة ، وروعة ثم روعة أن يجعل الغاية من إعطاء هذا وذاك أن
 يصيب قواماً من عيش أو سداداً من عيش أي ما يقوم بمعيشته ويسد
 خلته لا مجرد لقيمات يقيم بها صلبه ... (١٠) ومن الرائع حقاً في
 التسامح الإسلامي أن نص الفقهاء على أن الغارم لإصلاح ذات البين
 يعطى من الزكاة ولو كان الإصلاح بين أهل ذمة من اليهود أو
 النصارى ، فإن سيادة السلام والوئام بين جميع الذين يعيشون في كنف
 المجتمع الإسلامي هدف أصيل من أهداف الإسلام ، لكن هل لابد أن
 يدفع أحد الأشخاص أولاً غرامات الصلح من ماله الخاص ، ثم يعطى
 بعد ذلك ما دفعه من مال الزكاة ليكون حقيقة من الغارمين ؟

إن عبارات الفقهاء بصفة عامة تدل على اشتراط ذلك مراعاة
 للفظ الآية ولكن روح الآية والهدف الذي يرمي إليه الشارع من وراء
 هذا السهم لا تمنع من إعطاء لجنة الصلح لتدفع بدورها إلى الطرف
 المستحق ما دامت المصلحة قد تحققت بتقدير لجنة يعتد برأيها المجتمع
 الذي كونها ورضي عنها ، وإن كان لابد من المحافظة على الشكل
 فيمكن أن يكلف أحد أعضاء اللجنة بالدفع ، استقراضاً من أحد

الناس أو المؤسسات ، ثم يرد عليه ما غرمه بعد ذلك من سهم
 الغارمين من صندوق المصلحات ، على أننا يجب ألا نغفل أهمية وجود
 الصنف الأول الذي ينبثق من ضمير المجتمع ، باذلاً من ذات يده للرفق
 والإصلاح ، دون أن يضمن استرداد ما دفع ، فوجود هذا الصنف في
 الميزان الأخلاقي هدف في ذاته يحسب له حساب كبير في تقدير
 الإسلام ... (١١) .

في سبيل الله : هو الطريق الموصل إلى مرضاة الله ﷻ ، من
 العلم والعمل ، وأول ما يتبادر إلى الذهن منه هو الجهاد والقتال ،
 لكثرة اقترانهما في القرآن والسنة بكلمة في سبيل الله ، والمراد بالجهاد
 هنا الجهاد الإسلامي الذي حدده النبي الكريم ﷺ بقوله : "من قاتل
 لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله" (متفق عليه) ، ويدخل فيه
 تمويل كافة العمليات الجهادية ، وإعداد العلة وتجهيز المجاهدين ،
 وإعطاؤهم منها ، وإن كانوا أغنياء ، ما لم يكن لهم راتب من الدولة ،
 ويدخل فيه أيضاً الإنفاق على أسر وعائلات المجاهدين ، مع العلم بأن
 الذي يجهز به الغازي يعود بعد الحرب إلى بيت المال ، إن كان مما يبقى
 ، كالسلاح والخيول وغير ذلك ، لأنه لا يملكه دائماً بصفة الغزو الذي
 قام به ، بل يستعمله في سبيل الله ، ويبقى بعد زوال تلك الصفة منه
 في سبيل الله ، بخلاف الفقير ، والعامل عليها ، والغارم والمؤلف ،
 وابن السبيل ، فإنهم لا يردون ما أخذوا ، بعد فقد الصفة التي أخذوا
 بها ... (١٢) وللمصرف هذا معنى أعم وأشمل من ذلك ألا وهو
 الإنفاق على أي عمل لجعل كلمة الله هي العليا ، وكلمة الكافرين
 السفلى ، ونصرة دين الله وشريعته الغراء وصيانة العقيدة والدفاع
 عنها والتمكين لها وامتداد سلطانها ورعاية مصالح المسلمين العامة التي
 بها قوام أمر الدين والدولة ، لذا يرى بعض العلماء أن هذا المصرف

يشمل أيضاً تمويل الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة سواء قام بها أفراد أو جماعات، ويدخل في نطاق ذلك إنشاء مراكز إعداد الدعاة، طباعة ونشر الكتب الإسلامية وكذلك المجلات والجرائد التي تهتم بقضايا المسلمين، مواجهة الحملات التبشيرية التي يقوم بها الكفار في ديار المسلمين أو بين الأقليات الإسلامية، ومواجهة قتل وتقييد وأسر المسلمين والاعتداء على أعراض نسائهم، وكذلك طردهم من ديارهم ونهب أموالهم، إنشاء مراكز الرعاية الاجتماعية والمدارس والمستشفيات للأقليات الإسلامية التي تعيش في بلاد غير إسلامية، الإنفاق على البعثات التعليمية التي ترد إلى البلاد الإسلامية لتعليمهم العلوم الدينية، وعمارة المساجد وبناء المستشفيات وإنشاء المؤسسات التعليمية الإسلامية والمؤسسات الإسلامية الخيرية والاجتماعية في بلاد المسلمين، وما في حكم ذلك الذي يدخل في نطاق الحاجات الأصلية للإنسان، وقد اختلف العلماء والفقهاء من السلف والخلف حول نطاق أو حدود مصرف في سبيل الله، فمنهم المضيّق، ومنهم الموسع، ولكل منهم أدلته في ضوء الظروف والأحوال التي تتغير من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان، وكلهم على فقه ورشد في الاجتهاد، والأفضل هو المعنى الموسع في ضوء الأولويات الإسلامية الضرورية والحاجيات، ومن أقوال العلماء والفقهاء التي ترى إنفاق الزكاة في تمويل الدعوة الإسلامية سواء قام بها أفراد أو جماعات باعتبارها من صور الجهاد الإسلامي ما يلي: يقول شيخ المفسرين الطبري في تفسيره: "في سبيل الله" فإنه يعنى بذلك النفقة في نصرته دين الله وطريقته وشريعته التي شرعها لعباده بقتال أعدائه وذلك هو غزو الكفار، ويقول الشيخ شلتوت في تفسيره: "في سبيل الله" بأنها المصالح العامة وأولها التكوين الحربي والإعداد القوي

الناضج للدعوة الإسلامية والدعاة الذين يظهرون جمال الإسلام وسماحته ويفسرون حكمته ويبلغون أحكامه، ويتعقبون مهاجمة الخصوم بما يرد كيدهم إلى نحورهم، ويقول صاحب تفسير المنار: إن مدلول "في سبيل الله" يشمل كل أمر مشروع أريد به مرضاة الله بإعلاء كلمته وإقامة دينه وحسن عبادته ومنفعة عباده، ويقول الدكتور يوسف القرضاوي: مما ينطبق عليه معنى الجهاد في عصرنا هو العمل لتحرير الأرض الإسلامية من حكم الكفار الذين استولوا عليها، وأي حرب لنصرة دين الله وإعلاء كلمته والدفاع عن دار الإسلام وكرامة الإسلام تدخل في مصرف في سبيل الله، وخلاصة القول: إن الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى بالحكمة والموعظة الحسنة تدخل في نطاق سهمي المؤلفه قلوبهم وفي سبيل الله، ويمكن الإنفاق عليها من الزكاة ... (١٣).

ابن السبيل: وهو المنقطع عن ماله، وإن كان من أهل الغنى واليسار في بلده، فقد قدر الإسلام حاجته وأكرم غربته بفرضه له هذا السهم من الزكاة، ويدخل في ذلك اللاجئون المضطهدون من المسلمين الذين فروا من ظلم الحكام الكفرة أو أشباه الكفرة، وقد اتفق العلماء على أن المسافر المنقطع عن بلده يعطى من الصدقة، ما يستعين به على تحقيق مقصده، إذا لم يتيسر له شئ من مال، نظراً لفقره العارض، واشترطوا أن يكون سفره في طاعة، أو في غير معصية، واختلفوا في السفر المباح، والمختار عند الشافعية أنه يأخذ من الصدقة، حتى لو كان السفر للتفرج، والتتزه.

وابن السبيل عند الشافعية قسمان: من ينشئ سفراً من بلد مقيم به ولو كان وطنه، ومن كان غريباً مسافراً يجتاز بالبلد، وكلاهما له الحق في الأخذ من الزكاة، ولو وجد من يقرضه كفايته، وله ببلده، ما يقضي به دينه، وعند مالك وأحمد، ابن السبيل المستحق للزكاة،

يختص بالمجتاز دون المنشئ، ولا يعطى من الزكاة من إذا وجد مقرضاً يقرضه وكان له من المال ببلده، ما يفي بقرضه، فإن لم يجد مقرضاً، أو لم يكن له مال يقضي منه قرضه، أعطى من الزكاة ... (١٤) ولقد عنى القرآن بآبى السبيل في سورة المكية والمدنية، وأمر في أكثر من موضع بالإحسان به وإيتائه حقه، ثم جعل له أخيراً سهماً في مال الزكاة، وما ذاك إلا لأن الإسلام يجب للإنسان أن يكون ابن بيت يؤويه، ويكره له أن يكون ابن سبيل، ومن هنا كان من المقرر في الشريعة أن يكون لكل إنسان مسكن لائق به يؤويه وعياله، واعتبر هذا من الحاجات الأصلية التي لا بد للمرء منها ليعيش ويبقى، قال الإمام النووي في بيان معنى الكفاية التي بدونها يكون الإنسان فقيراً أو مسكيناً: والمعتبر المطعم والملبس والمسكن وسائر ما لا بد له منه، على ما يليق بحاله بغير إسراف ولا إقتار، لنفس الشخص ولمن هو في نفقته، وقال ابن حزم في بيان الأشياء الأساسية التي يجب أن تتوافر لكل إنسان في ظل النظام الإسلامي: وفرض على الأغنياء في كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكوات ولا فئ سائر المسلمين بهم، فيقام لهم بما يلزمهم من القوت الذي لا بد منه، ومن ملبس للصيف والشتاء مثل ذلك، ومن مسكن يكتفونهم من الشمس والمطر وعيون المارة، ومن المعاصرين من صرف معنى ابن السبيل إلى اللقيط، ولا بعد في ذلك، فإن السبيل أهله وأمه وأبوه، واللقطاء ثمة لجرمة اقترافها غيرهم، فلا يحملون إثمها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ * وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (الأنعام/١٦٤) فمن الواجب أن يكون لهم حظ من مال الزكاة ترعى به شئونهم، وينفق منه على حسن تربيتهم، وإعدادهم لغد طاهر مستقيم، والذين لا يدخلون اللقيط في ابن السبيل يدخلونه قطعاً في

الفقراء والمساكين، فهو من مصارف الزكاة بلا نزاع ... (١٥).

المراجع:

- (١) العبادة في الإسلام - يوسف القرضاوي: ص/٢٥٩.
- (٢) التطبيق المعاصر للزكاة كيف تحسب زكاة مالك؟ - حسين شحاتة: ص/٢١٤.
- (٣) تنمية المال في الاقتصاد الإسلامي - أميرة عبد اللطيف مشهور: ص/٤٠.
- (٤) مشكلة الفقر وكيف علجها الإسلام - يوسف القرضاوي: ص/٨٥، والعبادة في الإسلام - يوسف القرضاوي: ص/٢٦٠.
- (٥) فقه السنة - السيد سابق: ج/١، ص/٣٨٦، ومشكلة الفقر وكيف علجها الإسلام - يوسف القرضاوي: ص/٨١-٨٣.
- (٦) فقه السنة - السيد سابق: ج/١، ص/٣٨٧-٣٨٨، والعبادة في الإسلام - يوسف القرضاوي: ص/٢٦٢، والتطبيق المعاصر للزكاة - حسين شحاتة: ص/٢١٤.
- (٧) فقه السنة - السيد سابق: ج/١، ص/٣٨٨-٣٩١.
- (٨) العبادة في الإسلام - يوسف القرضاوي: ص/٢٦٢-٢٦٣.
- (٩) فقه السنة - السيد سابق: ج/١، ص/٣٩١-٣٩٢.
- (١٠) العبادة في الإسلام - يوسف القرضاوي: ص/٢٦٤-٢٦٥-٢٦٦، وفقه السنة - السيد سابق: ج/١، ص/٣٩٢-٣٩٣.
- (١١) فقه الزكاة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة: ج/٢، ص/٩٠٥.
- (١٢) العبادة في الإسلام - يوسف القرضاوي: ص/٢٦٧، وفقه السنة - السيد سابق: ج/١، ص/٣٩٤.
- (١٣) التطبيق المعاصر للزكاة - حسين شحاتة: ص/٢١٦ و ص/٢٢٣-٢٢٤.
- (١٤) العبادة في الإسلام - يوسف القرضاوي: ص/٢٦٧، وفقه السنة - السيد سابق: ج/١، ص/٣٩٥.
- (١٥) فقه الزكاة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة: ج/٢، ص/٩١٢.

دور المسلمين في تحرير الهند

بقلم : الدكتور مظفر عالم
(المحاضر في مركز الدراسات العربية - كلية الألسن - حيدرآباد)

كان للمسلمين دور بارز في تحرير الهند من هيمنة المستعمر الإنجليزي إبان القرنين الأخيرين - التاسع عشر والعشرين بحكم أنهم كانوا ولاة الأمر في البلاد والمدافعين عن الدين والأرض والعرض فيها .
وممن تنبه في الوصلة الأولى لهذا الخطر المخلق هو الملك الهمام حيدر علي وابنه البار فتح علي خان الملقب بالسلطان تيبو (١٧٥٢م - ١٨٠٢م) في جنوب الهند ، والذي عرف ببعد نظره وألمعيته بأن الإنجليز سيلتهمون هذه البلاد قطعة تلو قطعة إذا لم تقف قوة منظمة في مجابهتهم مدربة ، مؤمنة بعقيدتها ، حريصة على أرضها ومكتسباتها .
من هنا بدأ ذلك السلطان الشجاع يلتمش أبناء الهند في صف واحد من أجل الوقوف بقوة أمام الزحف الإنجليزي الذي لن يبقى شيئاً إلا اغتصبه ، وحاول السلطان تيبو الاتصال بالسلطان التركي سليم العثماني والملوك المسلمين في أفغانستان وإيران ، و أرسلهم بغية طلب العون والمعونة لطرد الإنجليز من الأراضي الهندية .
وفي الجانب المقابل ظل يحارب الإنجليز ويقاومهم مقاومة عنيفة ، لا هوادة فيها ولا استسلام ، وكاد ينهار كل ما خطط له الإنجليز وتمنوه من أن تكون الهند مستعمرة بريطانية ، ولكن المستعمر كعادته يعمل على شق الصف وكشعاره الذي يرفعه دائماً "فرق تسد" فقد عملوا جاهدين في شراء دعم أمراء جنوب الهند ، وضموهم إلى معسكرهم حتى يكون السلطان تيبو هو الوحيد في مجابهتهم ، ولكن

هذا الأمر لم يفت في عضد ذلك السلطان العظيم ، بل زاد في مقاومتهم رغم كل المؤامرات التي كانت تحاك ضده ، وقال قولته الماثورة "يوم من حياة الأسد خير من مائة سنة من حياة ابن آوى" .

خرج السلطان تيبو بجند ورجاله لمقاومة الإنجليز في معركة شهيرة باسم (سري رنغابتتم) استمرت عدة أيام ، أبلى فيها السلطان وجنده بلاءً حسناً ، واستبسلوا في الدفاع عن دينهم وعقيدتهم رغم عدم التكافؤ الواضح في العدد والعدة ، وكانت نهاية المعركة استشهاد السلطان تيبو بعد حياة حافلة من الجهاد والبطولة في سبيل إعلاء كلمة : "لا إله إلا الله" وعندما توارد الخبر باستشهاد السلطان تيبو إلى القائد الإنجليزي المستر هورس (Horse) ؛ قل كلمة تدل على عظمة السلطان "اليوم الهند لنا" .

ولم تعرف الهند في تاريخها الطويل قائداً عليّ المهمة وثاقب النظر وأشد غيرة على الدين والوطن ، وأعظم عداء وبغضاً للمستعمر الأجنبي من السلطان تيبو ، ولم تكن في الهند على الإطلاق أبغض إلى الإنجليز وأثقل عليهم من السلطان تيبو ، حتى ظلوا زمناً طويلاً يسمون كلابهم باسمه شفاءً لقلوبهم وتحقيراً لرمز من رموز الوطنية والجهاد في الهند .

وثارت الجماهير الهندية في مايو عام (١٨٥٧م) بعد ما ذاق الهنود مرارة الحكم الإنجليزي وغطرسته وجبروته ونهبه لشروات البلاد وتجاهله عن الجانب الديني لأهل البلاد ، وبعد كل هذه الممارسات التي مارسها المستعمر الإنجليزي على الهند وشعبها ، بدأت الشرارة الأولى في الهند بالثورة وانتشرت انتشار النار في الهشيم ، فكانت ثورة شعبية عارمة ساهم فيها المسلمون والهندوس بدءاً من مدينة ميرت لولاية أترابراديش حتى وصلت إلى دلهي - المعقل المغولي الأخير -

فاختار الثوار سراج الدين بهادر، أحد ملوك المغول قائداً للثورة ورمزاً للوحدة الوطنية والكفاح الشعبي، وتوجوه ملكاً شرعياً للهند خلفاً لأبائه ملوك الهند الصناديد، وقاتل الثوار بقيادة ملك الهند في جميع بقاع الهند، وكانوا ينظرون إليه كزعيم للجهاد الديني والوطني ويرون دلهي كعاصمة الحكومة الهندية الدائمة.

وبالرغم من أن هذه الثورة أو إن جاز التعبير أن نسميها حرب التحرير كما ينبغي، كانت حركة شعبية عامة، يقاتل فيها المسلمون والهندوس جنباً بجنب، ولم تعرف الهند حماسة وطنية ووحدة شعبية قبل هذا، وكان للمسلمين الحظ الأوفر في القيادة والتوجيه، وكان منهم العدد الأكبر والأهم من القادة والزعماء.

وقد صرح Sir William Hunter بأن قناديل الجهاد التي أشعلها السيد أحمد الشهيد هي التي أذكت نار هذه الثورة الشعبية، وقد كان من العلماء الكبار والمشايخ الذين قادوا لواء هذه الثورة، أشهرهم مولانا أحمد الله ومولانا لياقت علي، وهما اللذان تزعما الحركة، وكان للحاج إمداد الله التهانوي، ومولانا محمد قاسم النانوتوي، ومولانا رشيد أحمد الغنغوهي، والحافظ محمد ضامن الشهيد وغيرهم من العلماء والمشايخ دور لا يُستهان به في هذه الثورة.

وعندما انطفأ وهج هذه الثورة بموت خيرة العلماء لهذه الأمة سنحت الفرصة للإنجليز للهيمنة على هذه البلاد، فأذاقوا أهلها مرارة الانتقام، وفتكوا بالهنود أشد الفتك بقلوب لا تعرف الرحمة ولا تضع حساباً للإنسانية، وخير دليل شاهد على ذلك تلك المجزرة المروعة التي راحت ضحيتها الآلاف من أبناء هذا البلد، وهي أشبه مذابح جنكيز خان وهولاكو خان، بل هي أشد فظاعة، وكانت نهاية آخر ملوك المغول بهادر شاه ظفر نهاية مأساوية، فقد وعدوه بأنه إذا سلم نفسه

سوف يتاح العفو الإنجليزي ولن يتعرض لأي محاكمة، وقد وعدوه أيضاً بالمحافظة على أهله وحياته، ولكن الإنجليز كعادتهم غدارون بطبعهم، فنكثوا عهدهم، وحاكموه محاكمة ذليلة.

وكانت خاتمة مطافه بنفيه إلى "رانغون" عاصمة "بورما" ليقضى أيامه الأخيرة مهاناً مقترأ عليه في الرزق حتى وافاه الأجل المحتوم (١).

دخلت الجيوش الإنجليزية دلهي فكان مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا * وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةَ﴾ فبالفعل قد أذل الإنجليز الهنود، وجعلوا دلهي مدينة مستباحة ينتهك فيها المال والعرض طيلة ثلاثة أيام متواصلة.

وتوالى عمليات القتل والسلب والنهب في دلهي بوتيرة عالية، وأصبحت الدماء رخيصة تسفك لأتفه الأسباب، والرقاب تضرب بغير جريرة والأمن معدوم وشعائر الله لا تقام، وقد هرب كل من استطاع أن ينجو بنفسه وأهله وعرضه، حتى أصبحت المدينة التي كانت تعد عروسة البلاد وعاصمة الهند مقفرة موحشة، ليس فيها إلا البيوت الخاوية والأنقاض المتراكمة والجثث المتعفنة، وقد شهد شاهد منهم (الإنجليز) بما آل إليه الوضع في مدينة دلهي حيث يقول قائد الجيوش الإنجليزية في الهند المستر لارد روبرت (Lord Roberts) وقد كان مسافراً بجيشه من دلهي إلى كانفور لقمع الثورة، وكان ذلك في اليوم الرابع والعشرين من سبتمبر عام ١٨٥٧م بعدما استولى الجنود الإنجليز على دلهي، وتملكوا القلعة الحمراء يقول (Lord Roberts) في كتابه: "إحدى وأربعون سنة في الهند":

(١) الأستاذ ذكاء الله: عروج سلطنة انكلشية: ج ٢، ص ٧٠٨.

"كان المسير من دهلي في فجر الصباح الباكر ، وكان منظراً هائلاً ، خرجنا من القلعة من بابها الذي يسمى : (باب لاهور) ومررنا بالشارع الكبير الذي هو مركز البلد ، وأكبر أسواقها (شاندني شوك) لقد كانت دهلي في الحقيقة مدينة الأموات والأشباح ، ليس بها داع ولا مجيب ، فلا صوت إلا سنابل الخيل ، ولم يقع بصرنا على عرق ينبض أو عين تطرف ، لم تكن هنالك إلا جثث هامة مبعثرة هنا وهناك ، وقد كانت هذه الجثث في أوضاع مختلفة خلفها صراع الحياة والموت في أدوار مختلفة من التفكك ، وكنا لا نتكلم إلا همسا حتى لا نزعج هؤلاء الأشقياء الذين كانوا مستغرقين في نومة الموت ، إن ما رأيناه في المناظر كانت هائلة مفرعة و كانت مؤسفة محزنة ، وقد كانت بعض الجثث ينوشها كلب ، وكان عند بعضها نسر يرفرف جناحه ، ويحاول أن يطير ولا يستطيع بفطرط الشبع والثقل ، وقد كان بعض الأموات يتراءون أحياء فقد لوح بعضهم يده وهو يحتضر فبقيت يده مرفوعة كأنه يشير إلى جانب ، لقد كان المنظر مهيباً لا يمكن تصويره ، وكان خيلنا قد استولى عليها الذعر ، فكانت تصهل وتنتفخ مناخرها ، فقد كان المحيط كله مروعاً ولا يمكن تصويره ، وقد كان المكان متعفنا بروائح مقذرة تولد الأمراض (٢) .

لقد كانت هذه الجزرة تضم جميع فئات وطبقات المجتمع الهندي بمختلف مشاربهم ودياناتهم ، لا يجمعهم دين ولا لغة سوى حب الوطن ، ألا وهي الهند ، وإن كانت الريادة لهذه الثورة العظيمة ترجع إلى المسلمين الهنود بصفقتهم حجر الزاوية في تلك الثورة الوطنية التي شهدتها الهند في تلك الحقبة ، ولذلك كان الإنجليز يحرصون على

الفتك والقتل بالمسلمين ، ما أمكنهم ذلك ، لأنهم يعرفون في قرارة أنفسهم بأن المسلمين هم المحركون الرئيسيون والمؤثرون في حماسة الشعب الهندي" (٣) .

ولم يكتف الإنجليز بما ارتكبه من مجازر مروعة في حق أبناء الهند بل تتابع حقدهم فنصبوا المشانق على طول الطرقات والشوارع الرئيسية ، وكان للمسلمين الحظ الأوفر من هذه المشانق ، وصار الإنجليز يتلذذون برؤية أبناء هذا البلد العظيم فوق حبال المشانق ولم يكن هناك استثناء بكبير أو صغير ، بعالم أو جاهل ، أو مسلم أو هندوسي ، فكان الجميع عدواً لهم ، وكل من يحاول المقاومة أو يرفض الاضطرهاد فالمشانق تنتظره .

يقول أحد المؤرخين المعاصرين لهذه المجازر : "إن نحو ٢٧ ألفاً من المسلمين قتلوا شنقا حتى الموت ، واستمرت هذه المجزرة لسبعة أيام متوالية لم يعرف حتى الآن إحصائيات دقيقة لعدد القتل ، أما بالنسبة للبقية الباقية من السلالة التيمورية ؛ فقد حاول الإنجليز أن يستأصلوا شافتها ، فبعد أن تمكنوا من قتل رجالها طالت أيديهم الآثمة إلى الصبيان فقتلوهم ، وعاملوا النساء معاملة وحشية تقشعر منها الأبدان" (٤) .

ويقول قائد قواد الجيوش الإنجليزية (Lord Roberts) في رسالة بعث بها إلى والدته في ٢١/يونيو سنة ١٨٥٧م يصف فيها بشاعة عملية الإعدام التي تقوم بتنفيذها الإدارة الإنجليزية ضد الهنود ، فيصف قائلاً على حد تعبيره :

"إن أهول طريقة للإعدام هو أن يرمى المجرم بالمدفع وهو حقاً منظر هائل ، ولكننا في الوقت نفسه لا نستطيع أن نغير من سياسة تعاملنا مع هؤلاء المسلمين الأشرار حتى يعلموا أن الإنجليز لا يزالون سادة الهند وحكامها" (٥).

وهكذا دفع المسلمون ابهظ ثمن لهذا الجهاد ، وظل قادة الفكر والسياسة وأقطاب الحكومة الإنجليزية يجزمون أن المسلمين هم المسئولون عن ثورة (١٨٥٧م) وأنهم لن يتخلوا عن مبادئهم جيلاً بعد جيل ، وقد قال (Henry Hamilton Toms) أحد كبار الموظفين في البنغال في كتابه : "ثورة الهند الماضية وسياستنا المستقبلية" الذي ألفه في سنة ١٨٥٨م ، وذلك بعد قيام الثورة لسنة واحدة فقط ، وهو في كتابه هذا يبرز عقيلة الإنجليز ووجهة نظرهم عن المسلمين بعد الثورة فيطرد قائلاً : "لقد أدركت بأن الهندوس لم يكونوا أصحاب فكرة في ثورة ١٨٥٧م ، ولم يكونوا مصدرها ، وسأثبت لكم بهذه الأسطر بأن الثورة كانت نتيجة مؤامرة من المسلمين ، أما الهندوس إذا تركت لهم الحرية وكانوا محدودي الوسائل لم يكونوا يساهموا في مثل هذه الثورة وما كانوا من طلائعها ، أما المسلمون فلا يزالون منذ عهد الخليفة الأول متكبرين غير متسامحين وظالمين للناس ، ولم يكن لهم هدف سوى قيام الإمبراطورية الإسلامية بأية وسيلة كانت ، وذلك على حساب غرس كراهية الناس للمسيحيين ، فالمسلمون بطبعهم لا يستطيعون أن يكونوا محكومين لحكومة تدين بغير دين الإسلام ، لأن ذلك يعارض القرآن والسنة (٦) . (على حدّ زعمه) (يتبع)

(٥) Lord Roberts, Forty one years in India.

(٦) Henry Hamilton Toms, Post Indian revolution & our future politics.

أهم ما في النظام السياسي للهند

بقلم : الأستاذ محمد راشد كمال

تعد الهند بلداً ديمقراطياً يتمتع بحكومة برلمانية وفيدرالية ، و وضعت بعد استقلالها دستوراً تفصيلياً يشمل جميع الأمور المتعلقة بالحكومة ويضمن لمواطنيه حرية حيث جاء في مقدمة دستورها أن "الهند دولة اشتراكية علمانية ديمقراطية جمهورية ذات سيادة مطلقة" ، ويدل كل لفظ من الألفاظ المذكورة على معنى خاص تقوم عليه الحكومة الهندية ، وتحقيقاً لهذا الهدف هناك نظام يخص عقد الانتخابات بعد كل خمس سنوات وتوجد في الهند الأحزاب السياسية المتعددة ، الوطنية منها والمحلية التي تشارك في الانتخابات ، وتؤدي هذه الانتخابات بدورها إلى تشكيل الحكومة .

النظام البرلماني والفيدرالي :

اتخذت الهند لحكومتها نظاماً برلمانياً وفيدرالياً ، وفي النظام البرلماني ، يتمتع البرلمان بالسلطة العليا ويمثل الشعب ، مع أن أعمال الحكومة تتم باسم رئيس الجمهورية في المركز وباسم الحاكم في الولاية ، مجلس الوزراء ، الذي يعد مسئولاً عن المجالس التشريعية في المركز والولاية كليهما ، ويقوم في الحقيقة بأعمال الحكومة برئاسة رئيس الوزراء وكبير الوزراء على الترتيب ، أما في النظام الفيدرالي ، فتتمتع الحكومتان في المركز والولاية بمكانة خاصة واضحة وذلك في نطاق عملها ، ولا تتدخل أي منهما في عمل الآخر ولا تعمل حكومة الولاية كعميل للمركز ، وإنما تقوم بدورها بذاتها ، وهذا ما يشير إليه الدستور الهندي ، الذي يتحدث عن سلطات الحكومة المركزية

لحكومات الولايات على حسب ثلاث قوائم مختلفة ، وهي كما يلي :

١- قائمة المركز (The Union List).

٢- قائمة الولاية (The State List).

٣- قائمة المواضيع المشتركة بين حكومة المركز وحكومة

الولاية (The Concurrent List).

وبإمكان الحكومة المركزية إصدار القانون عن المواضيع التي تدرج في قائمة المركز المتمثلة في الدفاع والشئون الخارجية والسكة الحديدية والبريد والعملة والطاقة الذرية وغيرها من المواضيع البالغ عددها ٩٧/موضوعاً ، كما يمكن لحكومة الولاية أيضاً أن تصدر القانون فيما يخص المواضيع الواردة في قائمة الولاية مثل المحافظة على الأمن والقانون ونظام الشرطة والحكومة المحلية والصحة العامة والشئون الزراعية والتجارية والاقتصادية في الولاية وغيرها من المواضيع التي تبلغ ٦٦/موضوعاً ، والقائمة المشتركة عبارة عن المواضيع تهم كلا من حكومة الولاية وحكومة المركز على السواء ، ويحق لكل منهما إصدار وائين في هذا الصدد ، إلا أن الحكومة المركزية صاحبة اليد الطولى في سن القانون فيما إذا حصل خلاف بينهما ، وتشمل هذه القائمة ٤٧/موضوعاً ، ومنها إجراءات مدنية وجنائية أخرى خاصة بالزواج والطلاق والتعليم والتخطيط الاقتصادي إلى جانب نقابات التجار والكهرباء والصحافة وما إلى ذلك ، وبالتالي تحظى الحكومة المركزية في الهند بسلطة أكبر وأوسع بالمقارنة بسلطة الولاية في كثير من المواضيع .

الحكومة المركزية :

تقوم الحكومة الهندية كغيرها من الحكومات العالمية على ثلاث هيئات من تشريعية وتنفيذية وقضائية وتسمى الهيئة التشريعية

(The Legislature) في المركز بالبرلمان (سنسد) ، وهي الهيئة التشريعية العليا ، ويتكون البرلمان الهندي من مجلسين تشريعيين (Bicameral) ويطلق على أولهما مجلس النواب (لوك سبها) الثاني مجلس الشيوخ (راجيه سبها) ويختلف المجلسان فيما بينهما من حيث السلطات والصلاحيات .

لوك سبها (المجلس الأدنى) :

ويتم انتخاب أعضاء لوك سبها من قبل الشعب بصورة مباشرة ويتمتع كل مواطن من الجنسين البالغ عمره ثماني عشرة سنة أو أكثر بحق الإدلاء بالصوت للانتخابات البرلمانية ، وفي الشروط الأساسية لعضوية لوك سبها أن يكون الشخص مواطناً هندياً بالغاً من العمر خمساً وعشرين سنة على الأقل ، ولا يمكن أن يتجاوز عدد الأعضاء المنتخبين للوك سبها ٥٥٠/عضواً ، ومن بينهم يتم انتخاب ٥٣٠/عضواً من مختلف الولايات والعشرين الآخرين من المناطق التابعة للحكومة المركزية (Union Territories) ويمكن أن يعين رئيس الجمهورية شخصين من المجتمع الهندي - الإنجليزي (فئة الانجلو - انديان) عندما يشعر بأن تمثيله ليس بكافٍ ، ومدة صلاحية لوك سبها هي خمسة أعوام ولا يمكن تمديد هذه المدة إلا عند الطوارئ ، يقوم به البرلمان نفسه لفترة عام واحد فحسب في وقت واحد ، ويمكن حل لوك سبها قبل إكماله مدة الخمس سنوات لأسباب .

رئيس لوك سبها :

يقوم أعضاء لوك سبها بانتخابات رئيسته ونائب رئيسته لإجراء أعماله ، ويرأس رئيس لوك سبها جلساته ويحتاج أعضاؤه إلى إذن الرئيس عندما يريدون أن يتحدثوا حول أي موضوع ، وعادة ما يكون الرئيس من الحزب الحاكم ، وهذا واجب الرئيس أن يشرف على

أعمال المجلس من دون انخياز ، وفي غيابه يترأس نائب الرئيس جلسات المجلس .

❏ راجية سبها (المجلس الأعلى) :

وبما أن الهند قد اتخذت شكلاً فيدرالياً للحكومة ، فمن المهم أن تشارك الولايات في العملية التشريعية على المستوى المركزي ، ويتم هذا عن طريق راجية سبها ، ولا يختلف مؤهلات أعضاء راجية سبها عن تلك لأعضاء لوك سبها إلا في أمر وهو أن أدنى العمر للتأهل للعضوية ثلاثون سنة ، ويتكون راجية سبها من ٢٥٠ عضواً ، ومن بينهم يمثل ٢٣٨ عضواً الولايات والمناطق التابعة للحكومة المركزية ويقوم بانتخابهم أعضاء الجمعيات التشريعية من الولايات وبسبب ذلك يقال هذا الانتخاب انتخاباً غير مباشر ، واثنان عشر عضواً آخرين لا يتم انتخابهم بل يعينهم رئيس الجمهورية على أساس إنجازاتهم ومكانتهم المرموقة في مختلف المجالات كالآداب والعلوم والفنون والخدمات الاجتماعية وما إلى ذلك ، وبالعكس من لوك سبها لا يتم حل راجية سبها ، بل هو مجلس دائم ، ولكن بعد كل سنتين يتقاعد ثلث مجموع أعضائه ، ويتمتع العضو بالعضوية التي تمتد إلى ستة أعوام في وقت واحد ، ويتولى نائب رئيس الجمهورية رئاسة راجية سبها بحكم منصبه (Ex-officio) ، مما يعني أنه بمجرد تولي نائب رئاسة الجمهورية يصير رئيس راجية سبها تلقائياً ، وينتخب أيضاً راجية سبها نائب رئيسه من بين أعضائه .

❏ الإجراءات التشريعية (Legislative Procedures) :

إن اقتراحاً لقانون يعرف بمشروع لقانون ، وله قسمان :

١- المشروع القانوني العادي (Ordinary Bill).

٢- المشروع القانوني المالي (Money Bill).

لا يصبح أي مشروع قانوني قانونياً أو قراراً حتى يتم إقراره باتباع إجراءات مناسبة .

❏ المشروعات القانونية العادية :

ويمكن تقديم مشروع قانوني عادي في كلا المجلسين للبرلمان ، وكلما يتم تقديمه ، تجري مداولات حوله عدة مرات ، ويطلق على هذه العملية بخصوص اعتبار المشروع "القراءة" (Reading) ، ويجب على أي مشروع قانوني أن يخضع لثلاث قراءات في كل مجلس .

١- المرحلة الأولى بشأن القراءة هي تقديم المشروع القانوني ويصاحبه بيان الأهداف والأسباب .

٢- المرحلة الثانية بشأنها هي إجراء مناقشة عامة حوله .

٣- المرحلة الثالثة بشأنها هي مرحلة التصويت عليه .

وبعد أن يتم الإقرار على مشروع بأغلبية بسيطة في مجلس منشئه ، يرسل إلى المجلس الآخر ، وتتبع نفس الإجراءات فيه أيضاً ، و أخيراً إذا نال الأغلبية فيه ، فيعرض على رئيس الجمهورية للموافقة عليه ، وإذا كان الرئيس لا يوافق عليه ، فيمكن أن يرسله إلى المجلسين للبرلمان مرة ثانية طالباً من أعضائهما أن يعيدوا النظر فيه ويمكن له أيضاً أن يتقدم بمقترحات بشأنه ، ولكن ليس من الضروري أن يقبلها المجلسان ، وإن أرسل المشروع إلى الرئيس بدون أي تغيير مرة أخرى ، فيجب عليه أن يوافق عليه وبعد ذلك يصير المشروع قانوناً .

وفي حالة عدم موافقة المجلسين على المشروع ، يدعو رئيس الجمهورية جلسة مشتركة للمجلسين ويتم عرض المشروع على الجلسة المشتركة ، ثم يجري التصويت عليه ويحدد مصيره أغلبية الأعضاء ، ويترأس رئيس لوك سبها الجلسة المشتركة ، ومن الملاحظ أن إرادة أعضاء لوك سبها تغلب على إرادة أعضاء راجية سبها فيها .

المشروعات القانونية المالية :

أما المشروعات القانونية ، فبادئ ذي بدء أنها تتطلب شهادة من رئيس لوك سبها بخصوص كونها مشروعاً قانونياً مالياً ، ولا يمكن تقديم أي مشروع قانوني في البرلمان بدون موافقة رئيس الجمهورية . وبالنسبة لمشروعات قانونية مالية ، فإنه يوجد فرق هام بين سلطات المجلسين ويمكن تقديم أي مشروع قانوني مالي في لوك سبها فقط ولا يمكن ذلك في راجيه سبها ، ولكن عندما يتم إقراره في لوك سبها يُرسل إلى راجيه سبها ، ولا يجوز لراجيه سبها أن يرفض مشروعاً قانونياً مالياً وفقاً للقواعد المسننة بخصوص ذلك ، بل يمكنه أن يقدم اقتراحاته عليه في غضون أربعة عشر يوماً ويجب عليه أن يرده إلى لوك سبها في الوقت المحدد باقتراحاته أو بدون اقتراحاته ، ولكن لوك سبها هو صاحب الكلمة الأخيرة في الموضوع ، وإن فشل راجيه سبها في إعادته في الوقت المحدد ، فيعتبر أن المشروع تم إقراره في كلا المجلسين ، ثم يرسل إلى رئيس الجمهورية للموافقة عليه ، فيوافق ويوقع عليه .

الهيئة التنفيذية (The Executive) :

هي تتكون من رئيس الجمهورية ومجلس الوزراء بقيادة رئيس الوزراء في الحكومة المركزية .

رئيس الجمهورية - مؤهلاته وطريقة انتخابه وسلطاته :

رئيس الجمهورية الهندية هو رئيس دستوري أو رسمي للهيئة التنفيذية ويتم القيام بإدارة الحكومة وأعمالها باسم الرئيس بصفة رسمية ، ولكن في الحقيقة يتخذ مجلس الوزراء برئاسة رئيس الوزراء كل القرارات الحكومية ، مما يعني أن جميع السلطات التنفيذية منوطة برئيس الوزراء ، ولذلك يكون رئيس الجمهورية رئيس الدولة ، ورئيس الوزراء هو رئيس الحكومة .

وينص الدستور الهندي على المؤهلات اللازمة لمنصب رئيس الجمهورية وهي كما يلي :

- ١- أن يكون مواطناً هندياً .
- ٢- أن لا يقل عمره من خمسة وثلاثين عاماً .
- ٣- أن لا يتولى أي منصب حكومي ذي منفعة مالية .

ويتم انتخاب الرئيس عن طريق غير مباشر من قبل هيئة انتخابية (electoral college) تتألف من الأعضاء المنتخبين من البرلمان والمجالس التشريعية في جميع الولايات ، ولا يمكن لأحد أن يصير رئيساً للجمهورية ما لم يحصل على أكثر من نصف عدد من مجموع الأصوات المدلاة ، ويتوقع من أعضاء الهيئة الانتخابية أن يشيروا إلى ترجيحاتهم بكتابة (١-٢-٣) في ورقة الاقتراع مقابل أسماء المرشحين لمنصب الرئيس ، ويتم انتخابه لمدة خمس سنوات ويمكن له أن ينافس لانتخاب منصب الرئيس مرة ثانية لفترة أخرى ، بما أن الرئيس يتم انتخابه عن طريق إجراءات خاصة ، يمكن إطلحته من منصبه بإجراءات خاصة فقط ، ويسمى هذا النوع من الإطاحة بـ (Impeachment) ، ويمكن إطلحته لانتهاك الدستور ، ولهذا الغرض يجب على أي مجلس للبرلمان أن يبدأ بعملية .

وبموجب الدستور يتمتع رئيس الجمهورية بسلطات متنوعة ، ولو كانت رسمياً ، وهي كما يلي :

- ١- السلطات التنفيذية : بما فيها تعيين رئيس الوزراء وأعضاء آخرين في مجلس الوزراء بناءً على توجيهات رئيس الوزراء إلى جانب تعيين حكام الولايات والسفراء ومراقب النفقات (The Comptroller) والنائب العام (The Attorney General) ومدقق الحسابات (The Auditor-General) وما إلى ذلك ، وهو أيضاً القائد الأعلى للقوات الدفاعية

الهندية ويمكنه إعلان الحرب والتصالح مع بلدان أخرى .

٢- السلطات التشريعية : بما فيها مثلاً استدعاء جلسات البرلمان وتأجيلها ويمكنه أيضاً حل لوك سبها تمهيداً للانتخابات العامة ، ويقوم بافتتاح البرلمان بعد انتخاب عام بإلقاء كلمة الافتتاح في لوك سبها ، كما يخاطب جلسته الأولى كل عام ، ومن أهم سلطاته التشريعية هي بشأن البيان المالي السنوي المعروف بميزانية الحكومة وهي تعرض بواسطة الرئيس على لوك سبها .

٣- السلطات القضائية : بما فيها تعيين رئيس القضاة والقضاة الآخرين للمحكمة العليا وللمحاكم العالية إلى جانب منح العفو وتخفيض الحكم بالعقوبة بخصوص مجرم وما إلى ذلك .

٤- السلطات الطارئة .

الطوارئ تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

١- قد تتسبب بالحرب والاعتداء الخارجي والتمرد المسلح .

٢- قد تتسبب بفشل النظام الدستوري في الولايات .

٣- قد تتسبب بالأوضاع المالية الخطيرة .

يمكن أن يعلن الرئيس هذه الطوارئ الثلاث في مصلحة

البلاد .

نائب رئيس الجمهورية :

يختلف انتخاب نائب رئيس الجمهورية عن رئيس الجمهورية ، وتقوم بانتخابه الهيئة الانتخابية التي تتكون من أعضاء المجلسين للبرلمان فحسب ، وتنطبق عليه أيضاً نفس المؤهلات اللازمة لرئيس الجمهورية ، وفي غياب الرئيس وإصابته بالمرض يقوم نائب الرئيس بأعماله ، وإذا استقال أو مات الرئيس ، فيؤدي نائب الرئيس وظيفته إلى أن يتم انتخاب الرئيس الجديد ، ولا بد أن يتم انتخابه في غضون

سنة شهور ، ونائب رئيس الجمهورية هو رئيس راجيه سبها بحكم منصبه .

مجلس الوزراء :

يعد مجلس الوزراء مجلساً تنفيذياً حقيقياً ، والذي يقوده رئيس الوزراء ويلعب دوراً مهماً في اتخاذ القرارات وهو مسئول عن لوك سبها شخصياً وجماعياً ويبقى على السلطة ما دام يتمتع بالأغلبية في لوك سبها ، وله ثلاثة أقسام :

١- الوزراء في الكابينة : وهم الذين يتولون حقائب وزارية هامة ومستقلة .

٢- وزراء الدولة : وهم الذين يستطيعون أن يعملوا بطريقتين ، أولاًهما : أنهم قد يساعدون وزراء الكابينة والثاني قد يحملون منصباً مستقلاً للوزارة .

٣- نائبون للوزراء : وهم الذين يساعدون وزراء الكابينة ووزراء الدولة .

رئيس الوزراء :

يحظى رئيس الوزراء بالسلطات العليا في مجلس الوزراء وهو على رأس مجلس الوزراء الذي يساعده في إدارة الحكومة ، ويتحتم على أعضائه القيام بأعمالهم طبقاً لتعليماته وتوجيهاته ، ويلعب رئيس الوزراء دوراً حيوياً للاتصال بين رئيس الجمهورية ومجلس الوزراء ، ويعينه الرئيس من حزب أو تحالف الأحزاب التي تتمتع بالأغلبية في لوك سبها ويتم انتخابه عن طريق غير مباشر ، ولكن يقوم الشعب بانتخاب حزبه بصفة مباشرة ، ويقرر رئيس الوزراء سياسات الحكومة ويترأس اجتماعات مجلس الوزراء وينسق أعمال الوزارات المختلفة ، وهو أيضاً رئيس لجنة التخطيط التي تشرف على السياسات الاقتصادية .

حقائق لا يمكن إخفاؤها

واضح رشيد الحسن الندوي

تصدر من القادة والحكام الأوروبيين ، أحياناً بيانات صريحة لا خداع فيها ، ولا تزوير ، بل تكشف عن الحقيقة والواقع في المجتمع الغربي والاعتراف بعناصر الخير في الإسلام والمسلمين ومحاسن الحضارة الإسلامية ، وقد تعود هؤلاء الحكام ورجال الفكر إخفاء مآسي المجتمع الغربي ، أو الصورة القائمة له ، وتسليط الأضواء على المجتمع الإسلامي سلبياً ، كما تعودوا إخفاء مساوئ التاريخ الأوروبي ، ومساوئ العصور المظلمة الطويلة وإلقاء الستر السوداء على تاريخ العهد الإسلامي المنير الذي كان طويلاً ومديداً كتاريخ العهد المظلم لأوروبا ، وهو عهد واحد ، مظلم بالنسبة لأوروبا ، ومنير للعالم الإسلامي ، فيه علم وحضارة ، وتسامح ونور ، وتضامن بين مختلف الأمم والطبقات ، بالنسبة للعالم الإسلامي الذي كان يشع فيه العلم والحضارة من الأندلس ، ومصر ، والشام ، والهند ، وفيه جهالة متفشية بل عداً للعلم ، والعلماء واضطهاد لهم ، وإكراه لقبول النصرانية ، و تحارب وتقاتل بين مختلف الأجناس والعناصر والأقوام في أوروبا كلها ، فلما جاء عهد غلبة العلم ففيه إنكار للدين ، ورفض للقيم ، وإباحتية في المثل الخلقية وانقسام بين مختلف الطبقات على أساس الوطنية والقومية ، والنظرية .

لقد مرت أوروبا بأدوار مختلفة في تاريخها ، ففي عهد غلبة

الكنيسة إجبار وإكراه لقبول النصرانية ، وفي عهد غلبة الأفكار والنظريات الثائرة على الدين إجبار وإكراه على قبول هذه النظريات رغم الادعاءات الصارخة بجرية التعبير ، والحقوق الأساسية .

مر المجتمع الأوروبي خلال هذه المراحل من تجارب مريرة ، وتعرض للاضطهاد الفكري والسياسي ، وسالت الدماء من أجل كل مرحلة ، مرّ بمرحلة الصراع بين العلم والدين ، ثم مرّ بمرحلة الصراع بين الديمقراطية والاشتراكية ، وبين الحكم الفردي ، وبين الحكم الجمهوري ، والآن يمر بمرحلة الصراع بين الأصولية وبين الثورة على القيم والمثل والعقائد الثابتة .

تضمنت بيانات زعمي المجتمع الأوروبي ، ولاديمير بوتين رئيس روسيا ، وتوني بلير رئيس وزراء بريطانيا ، إشارات إلى هذه البقع السوداء في العالم الأوروبي المعاصر .

صرح الرئيس الروسي بوتين في بيان له نشرته الصحف العالمية بأهمية أن أوروبا تعوزها الديمقراطية في الواقع ، على عكس ما يزعم زعماء أوروبا ، وأمريكا ، وجاء هذا البيان رداً على بيان الرئيس الأمريكي جورج بوش الذي أعرب فيه الرئيس بوش عن قلقه بافتقاد الديمقراطية في مناطق الاتحاد السوفياتي السابق ، فرد الرئيس بوتين بقوة ، وقال : أين الديمقراطية في أوروبا وأمريكا ؟ وأي بلد توجد فيه الديمقراطية ؟ وأضاف قائلاً : هل توجد الديمقراطية في أمريكا التي تفتح السجون التي تعتقل فيها من تتهمهم بالإرهاب بدون محاكمة كجوناثان .

وفي بيان آخر وجه الرئيس بوتين إلى إنشاء نظام جديد مقابل نظام الدول الكبرى القوية ، وأكد أهمية إسهام الدول الصغرى النامية في النهضة ، وأن يسمح لها برفع صوتها .

وفي الواقع قضى النظام العالمي الذي تتزعمه أمريكا على المؤسسة الديمقراطية الواحدة في العالم والتي كانت قادرة على إغاثة المضطهدين والمعرضين لانتهاك حقوق الإنسان ، وهي الأمم المتحدة ، وصارت هذه المنظمة التي كانت أنشئت للإنصاف ولإغاثة المعرضين للظلم والاضطهاد ، أداة لتحقيق المطامع الاستعمارية ، ووقاية المستعمرين والمستبدين من المؤاخنة العالمية .

وكان البيان الثاني هو بيان توني بلير الذي تضمنته محاضرته التي ألقاها في كمبردج أخيراً ، فقال : إن عامة المسلمين يحبون السلام والتعايش مع الأمم الأخرى .

وعندما وجه أحد الشباب المتطرفين سؤالاً إلى توني بلير أن المسلمين يريدون قتل سائر النصارى ، فقال : إن المسلمين يحبون سيدنا عيسى ويعتقدون أنه نبي من أنبياء الله ، وفيما يتعلق بالإكراه الديني ، قال بلير : إن تاريخ النصرانية أيضاً لا يخلو من الاضطهاد الديني ، وأشار إلى محاكم التفتيش ، وقال : هل يصح إعاقة مسئولية هذا الاضطهاد إلى النصارى بصورة عامة أو إلى السيد المسيح ؟

وقد صادق على هذا البيان إحصاء أجرى في الدول الأوروبية ونشرته الصحف العالمية الكبرى ، هل يجب المسلمون التعايش مع غيرهم في أمن وسلام ؟ وكان رد أكثر من سبعين في المائة نعم ، والقلة القليلة منهم كان ردها صادراً من انطباعها بالوضع السائد وهو وضع محاربة المسلمين وتقييد الحركة الإسلامية في ستار الإرهاب ، كان ردها طبعياً في مثل هذا الوضع وهو المجابهة ، ولكن نسبتهم كانت ضئيلة .

وقبل ذلك صرح أحد القادة البريطانيين في محاضرة له في أوكسفورد أن الإرهاب لا يختص بالمسلمين وإنما يرجع إلى أسباب

وحركات وهي مختلفة سياسية واقتصادية واجتماعية وتاريخية وسلوكية وحيثما توجد هذه الأسباب يلجئ المضطهدون إلى القوة ، وقال : إن بريطانيا تشهد مثل هذا الوضع في إيرلنده ، وأشار إلى التفجيرات التي يجريها الإيرلنديون والتي تؤدي إلى خسائر جسيمة ، وذكر الزعيم البريطاني حركات ثورية متعددة في العالم لا صلة لها بالإسلام والمسلمين .

إن دراسة التاريخ القديم للنصرانية ولأوروبا تدل على أمثلة كثيرة للاستبداد والإكراه دينياً وعقائدياً وقومياً وعنصرياً وقد أشار المستر بلير إلى مثال واحد ، فإن التفرقة العنصرية والتمييز بين الأبيض والأسود أمر معروف وجزء من التاريخ القديم والمعاصر وعلاوة على ذلك هناك مجازر رهيبة ارتكبت باسم الدين والنظرية السياسية والاقتصادية ، وكان مرتكبوها الأوربيين ، إن الهولو كوست الذي ارتكبه النازيون ضد الساميين مهما كان حجمه كان بأيدي الأوربيين ، وإن المجازر التي ارتكبتها الاشتراكيون في الاتحاد السوفيتي في عهد غلبتهم ترجع أيضاً إلى الأوربيين ، وإن عدد الذين قتلوا نتيجة لإقرار هذا النظام أكبر من عدد القتلى في الهولو كوست المزعوم في ألمانيا ، ولكن العالم الأوربي لا يعد هذه المذابح إرهاباً دينياً ولا عقدياً ، ولا ما حدث في البوسنة والهرسك من إبادة المسلمين بأيدي النصارى المتشددين رغم ادعاء الديكتاتور الصربي بأن حربه حرب دينية ، لوقاية أوروبا من الإسلام ، إرهاباً نصرانياً ولا أوربياً .

وقبل الثورة البلشفية كان المسلمون في روسيا هدفاً للسياسة الاستبدادية القاهرة ، في عهد حكم دار ، وذاريناء وكان هذا القمع والاستبداد أيضاً على أساس الدين ، وكان هذا الإكراه الديني الذي كان المسلمون هدفاً له سبب انضمامهم إلى الثورة الاشتراكية التي

قادها لينين ، ولكن لينين خانهم ، وعاملهم معاملة أقسى من معاملة دار قبله ، فقد واجه المسلمون في عهده وعهد استالين أنواع القمع والظلم حتى إجبارهم على النقل الجماعي من مكان إلى مكان آخر ، وفرض الإلحاد عليهم والحظر على تأدية الشعائر الدينية ، وإقبال المدارس والمساجد ، وبقي هذا الوضع أكثر من سبعين سنة إلى أن تفكك الاتحاد السوفيتي ، ولكن المسلمين في الدول الاشتراكية السابقة لا يزالون محرومين عن الحقوق الأساسية ، وخاصة الدينية ، رغم سقوط النظام الاشتراكي .

إن تاريخ أوروبا ملئ بمثل هذه الأمثلة للإكراه على أساس القومية وعلى أساس الوطنية ، وعلى أساس العقيدة والأيدولوجية ، وعلى أساس الحضارة ، وعلى أساس الدين ، ولا تزال مظاهر هذا التمييز عامة وشائعة في الدول الأوروبية ، ويتعرض لمثل هذا التمييز والإكراه المسلمون وحدهم .

وآخر مثال لهذا الإكراه تقرير قدمته مؤسسة راند في ٢٦/٣/٢٠٠٧م باسم بناء شبكات مسلمة معتدلة (علمانية) .

و طبقاً لملحة المجتمع يحدد التقرير منذ بدايته أن هناك حرب أفكار ، وصراعاً بين العالم الإسلامي ككل وبين العالم الغربي ، ويدعو التقرير إلى نقل طبيعة المواجهة إلى داخل العالم الإسلامي ، وإعادة بناء الإسلام نفسه من جديد .

وخلاصة التقرير صياغة المجتمع المسلم صياغة غربية لا يفرق بين ما هو حكم الشريعة ، في حياته وبين ما هو وارد من المجتمع الغربي يتنافى مع عقيدته ، وحكم شريعته ، ويعني ذلك فرض تصور خاص للحياة على العالم الإسلامي (١) .

(١) راجع للتفصيل عن التقرير المجتمع ، العدد ١٧٥ ، ١٨/ربيع الآخر ١٤٢٨هـ .

الشعر والشعراء في الأدب العربي الحديث

بقلم : د/أيوب تاج الدين الندوي
(استعراض : الأستاذ محمد قطب الدين)
(قسم اللغة العربية ، جامعة دلهي - الهند)

صدر حديثاً هذا الكتاب في ثوب قشيب مع طباعة جيدة ودجته ريشة قلم الأستاذ الفاضل الدكتور أيوب تاج الدين الندوي ، الأستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة المليية الإسلامية ، نيودلهي (الهند) .

يعتبر هذا الكتاب نتيجة المجهودات الكبيرة والمساهمات الملموسة التي قدمها العلماء الهنود عبر العصور في سبيل ترويج وتطوير اللغة العربية وآدابها في الهند ، وذلك عن طريق ممارسة مهنة التدريس والتأليف والتصنيف والترجمة وإعداد الدروس وقرض الشعر وإصدار الجرائد والمجلات والقيام بالتعليقات القيمة والإيجابية على المؤلفات العربية وتحقيقها تحقيقاً عميقاً وشرحها شرحاً مستفيضاً ، وخلف هؤلاء العباقرة الهنود ذخيرة عربية علمية وأدبية وإسلامية بهرت أبصار العرب حتى نالت الإعجاب والتقدير من قبلهم ، وتتجمل بها المكتبات العربية والإسلامية ، ونظراً للعلاقات المتزايدة يوماً فيوماً بين الهند والبلدان العربية في مختلف المجالات المنظورة من العلوم والسياسة والثقافة والاقتصاد ، منذ عقود إن لم تكن قروناً ، أولت الهند اهتماماً خاصاً بتعليم اللغة العربية وآدابها في الكليات والجامعات العصرية الحكومية ، علاوة على المجهودات المخلصة والمشكورة التي تبذلها المدارس الإسلامية الدينية الأهلية منها وغير الأهلية في سبيل تدريس اللغة العربية وترويجها في أرض الهند الخصبة ، كما تقدم هذه المعاهد الهندية برامج عربية على مختلف

المستويات من الشهادة والدبلوم والدبلوم العالي إلى جانب الليسانس ومجستير وبعض منها على مستوى ما قبل الدكتوراه (M.Phil) والدكتوراه (Ph.D)، وإن المقررات الدراسية لتعليم اللغة العربية وآدابها تضم جميع العلوم العربية اللازمة أمثال النحو (النحو التطبيقي) والصرف والبلاغة والتاريخ، والأدب شعراً ونثراً وما إلى ذلك، والشعر في الأدب العربي الحديث من بين المواد المقررة في المنهج الدراسي للجامعات الهندية على مستوى الليسانس ومجستير والدبلوم العالي.

هذا، والطلاب الدارسون لهذه المادة كانوا يواجهون صعوبات في نيل الكتب المتعلقة بالموضوع وكانوا يطوفون مكتبات لغرض جمع المعلومات عن الموضوع، فنجحوا أحياناً وخابوا أحياناً أخرى، فكانت تمس الحاجة إلى كتاب يتم إعداده من وجهة نظر تخفيف مشاكل الطلاب على مستوى الليسانس ومجستير ويضم المعلومات الكافية الموثوق بها حول الموضوع.

قام المؤلف بإعداد هذا الكتاب الذي يفي بحاجة الطلاب نحو معرفة الشعر والشعراء في الأدب العربي الحديث كما يصف المؤلف نفسه البواعث على تأليف هذا الكتاب قائلاً:

".. إن اختيار هؤلاء الشعراء الذين تناولت عن شعرهم وسيرهم في هذه المجموعة لم يكن عفواً بدون تفكير وإنما اختيار هؤلاء الشعراء سببه أن قصائد هؤلاء الشعراء تدرس في مناهج عدة جامعات الهند، وإن الدارسين يجدون صعوبة في معرفة سيرة الشاعر الحديث وفي التعرف على إسهامه في الشعر الحديث، ففكرت في أن أجمع المعلومات عن هؤلاء الشعراء مع ذكر بعض قصائدهم وإسهاماتهم الأدبية الأخرى في هذه المجموعة".

هذا الكتاب هدية علمية وأدبية للطلاب الجامعيين، ولا يستهان بقيمتها وذلك لأن هذا الكتاب دراسة موسعة عن نشأة عصر

النهضة والبعث العربي والنهضة الأدبية وبواعثها كما يعالج المذاهب والجمعيات الأدبية الحديثة، جمع المؤلف في هذه المجموعة معلومات قيمة عن مييزات الشعر العربي الحديث وعن سيرة حياة الشعراء المحدثين وإسهاماتهم الأدبية مع ذكر نماذج شعرهم وقصائدهم الصغيرة منها والكبيرة التي تأسر الأذهان وتؤثر في القلوب أثراً بالغاً طيباً وكلها بالإيجاز والتفصيل، ومن الأهمية بمكان أن المؤلف أتى بمراجع وافية موثوق بها لكل بحث تناوله في هذا الكتاب، ويشمل الكتاب الموضوعات المتنوعة والشعراء النابهين الكثيرين؛ مثل:

النهضة الأدبية الحديثة: المؤثرات العامة في الأدب في العصر الحديث، الشعر في العصر الحديث، المدارس الأدبية الحديثة، مدرسة الديوان، الرابطة القلمية، جمعية أبوللو، العصبة الأندلسية، الشعر الحر، محمود سامي البارودي، رائد الشعر الحديث، أحمد شوقي، حافظ إبراهيم، جميل صدقي الزهاوي، خليل مطران، إبراهيم عبد القادر المازني، بشارة الخوري، أحمد زكي أبو شادي، عمر أبو ريشة، أبو القاسم الشابي، الأدب المهجري، جبران خليل جبران، رشيد سليم الخوري، إلياس أبو شبكة، رشيد أيوب، إيليا أبو ماضي، نسيب عريضة، نازك الملائكة، فدوي طوقان، سلمى الخضراء الجيوسي، نزار قباني، بدر شاكر السياب، عبد الوهاب البياتي، صلاح عبد الصبور، أحمد عبد المعطي حجازي.

إن المؤلف يناقش كل تيار أدبي حديث بالإيجاز في أسلوب رشيق وعبرة سهلة ممتعة ويذكر سيرة الشاعر المنتسب إلى ذلك التيار مع ذكر خدماته الأدبية وميزاته الشعرية إلى جانب تقديم نماذج شعره وقصائده، فمثلاً يذكر نموذج سامي بارودي - رائد الشعر العربي الحديث - بعنوان: "أين أيام لذتي وشبابي":

أين أيام لذتي وشبابي
أتراها تعود بعد الدهر باب

ذاك عهد مضى و أبعد شئ
أن يرد الزمان عهد التصابي
فأديرا علي ذكره إنني
منذ فارقت شديدا المصاب
كل شئ يسلموه ذو للب إلا
ماضي اللهو في زمان الشباب
كما يقدم نموذجاً من قصائد جميل صدقي الزهاوي بعنوان :
"إنا غريبان هاهنا" :

لقد كنت في درب ببغداد ماشيا
وقد أوشكت شمس النهار تغيب
فصادفت شيخاً قد حنى الدهر ظهره
لـه وفق مستن الطريق دبيب
عليه ثياب رثة غير أنها
نظاف فلم تدنس لمن جيوب
تلك غصون في وسيع جبينه
على أنه بين الشيوخ كئيب
يسير الهويناء والجماهير خلفه
يسبونـه و الشيخ ليس يجيب
أحالوا عليه بالحصاة يرمونه
و في الرأس منه شجة و ندوب
لـه وقفة يقوى بها ثم شهقة
تكاد لها نفس الشفيق تذوب
فساءلت من هذا فقال مجاوب
و "الحق" جاء اليوم فهو غريب
فجئت إليه ناصراً و مصليا
و دمعي لإشفاقي عليه صبيب
و قلت له : "إنا غريبان هاهنا
و كل غريب للغريب نسيب"

ومن نماذج رشيد سليم الخوري وهو يقول هذا الشعر بعنوان :
"الولادة الجديدة" :

مررت بأترابي التلجرين
فلم ألق إلا العبوس الوقور !
فملت إلى الحقل حيث الصغار
تناغي الطيور و تحني الزهور
فهل صار كل رفاقي كهولا
و هل أنا وحدي ظللت صغيرا ؟
والكتاب يحمل بين دفتيه فوائد علمية جمة وأدبية قيمة لا
يستهان بها في هذا الموضوع كما يحتوي على معلومات لا توجد في
كتاب آخر بمثل هذه الجامعة والشمول .
والمؤلف الفاضل هو الدكتور محمد أيوب تاج الدين الندوي ،
البروفيسور في قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة المليية الإسلامية
بنيودلهي ، الهند ، قد حاز على شهادتي الماجستير في اللغة الإنجليزية
والعربية إلى جانب شهادة الدكتوراه في الأدب العربي ، وله عدد كبير
من المقالات القيمة وعدة كتب رائعة أهمها : "الصحافة العربية في
الهند ، نشأتها وتطورها" و "محمد الحسني - حياته وآثاره" .
ألف المؤلف هذا الكتاب في ضوء تجاربه التعليمية والتدريسية
في قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة المليية الإسلامية ، فعلى هذا
الأساس يمكن أن نقول : إن هذا الكتاب دليل ليس لطلاب الشعر
العربي الحديث فحسب ، بل للأساتذة أيضاً ، وجدير بأن يدخل في
المقررات الدراسية العربية لجميع الكليات والجامعات والمدارس
العربية الإسلامية الدينية الهندية على حد سواء كمرجع للدراسة
الشعر العربي الحديث ، والله هو الموفق .

أدب الاختلاف للتعایش مع الناس

الأخ الأستاذ محمد فرمان الندوي

الاختلاف طبيعة الحياة والكون، وفطرة الدين واللغة، وسمعة الإنسان والملا الأعلى، كل شيء في النظام الكوني رهين الاختلاف، فاختلاف الليل والنهار، وخصام ملك الموت في قبض الأرواح، وشروق أشعة الشمس وأفولها ليس إلا من هذا القسيم، فلو كان الذهب باقياً نامياً في معدنه لما كان مبعث استغراب، ولو كانت الشمس في دارة حللها لا تبرح، لما جاءت جديدة، هكذا الحياة الإنسانية تتأثر بالملاسات وتتفاعل بالمؤثرات، وهذا الخلاف ليس اختلاف تضارب وتناقض بل تلون وتنوع.

ينشأ الاختلاف في الحياة الإنسانية من ناحية الفكر والفهم والسلوك، فإذا كان الاختلاف في الثوابت والكمالات كان مستهجناً لدى أصحاب الفكر السليم، وإذا كان في فهم النصوص وشرح الفصوص واستخراج النكت والوارد فهذا أمر يكثر وقوعه، لأن الإنسان ينفرد بطابعه ويتميز بصلاحياته ووجهات نظره من الآخر، فهذا يفكر من منظور دراسته، وذلك يخوض في التفكير من وجهة نظر أخرى، وللناس فيما يعشقون مذاهب، فكان من اللازم أن يوجد تعدد في الأفكار وتنوع في المشارب والمسالك، هذا الاختلاف مشروع ومحمود، وجدير بالثناء والتحييد، ذلك لأن الله لو أراد أن يتساوى الناس في كل شيء لما أنزل المتشابهات من الآيات، وقد وجد هذا النوع من الخلاف في القرون المشهود لها بالخير، وكانت له تداعيات من أهمها: عدم الاطلاع على حديث الرسول، وتعيين مراد النبي الكريم ﷺ، وتوهم التعبير، وصدور السهو والنسيان، وضبط مقصود الحديث، وتعيين العلة وأسلوب التطبيق، نتجت جرأ ذلك

خلافات هامشية جزئية، ثم توارثتها الأمة، فجماعة اتخذت هذا أسوة، وأخرى جعلت ذلك نموذجاً، ولكل منهما أتباع وأشياع، فما كان هذا أمراً شائناً بل تسهياً وسعة من الله ﷻ، لأن الأمة لو كانت فاقلة هذه الناحية لكانت في حرج ومرج، وهذا هو معنى قوله ﷺ: اختلاف أمتي رحمة، وقد أشار عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى هذا قائلاً: "ما يسرني أن أصحاب النبي الكريم ﷺ لم يختلفوا، لأنهم لو لم يختلفوا لم يكن لنا أي رخصة" (جامع بيان العلم وفضله: ج/٢، ص/٨٠).

أما الخلاف السلوكي فقد احتدم صراعه، وتأججت ناره في كل عصر، إما بالجهل أو بالشعور الزائد بالاستعلاء، فمعيار الحسن والجمال عند الإنسان ما يعجب به وما تملي عليه إرادته، إذا أبدى رأياً استبد به ولا يترك أي مساع للآخرين، فإذا تدخل رجل في شأنه برأي استشاط غضباً وجعله سبباً للتقاطع والتدابير والتهاجر، فلو تأمل هذا نظام الله الطبيعي لعرف أن كل شيء في الكون مختلف ألوانه وأنواعه فكيف يمكن انسجام الآخرين مع هواه وانصياعهم في بوتقة واحدة، رغم أن التاريخ زاخر بأمثلة حية للتعایش مع الناس، فهذا رسول رب العالمين، سيد الأولين والآخرين يهتم بالمشورة مع أنه كان على ذروة من الفطنة والذكاء، ويحترم آراء الناس ويقدرها، إلا أن يرى كفراً بواحاً، ثم يذهب لعيادة عدو لدود ويستخبر أحواله، ويقابل كل من يلقاه بوجه طلق باسم علماً بأنه ليس ممن يتعاون معه، وهذا بطل الإسلام المغوار السلطان صلاح الدين الأيوبي يقدم إلى أعدى عدوه "رتشارد" في حالة مرضه الفواكه والثلج.

هناك اختلافات ونزاعات بين شراذم وفئات، تضعف بها القوة الداخلية للبلاد، وتضؤل قيمتها المعنوية، وهي ليست إلا على أساس الجنس والعنصر، واللون والدم، يعيش المجتمع من أجل ذلك متزعزع الكيان، ومهلهل البنيان، ويشعر بأزمة أخلاق وإيمان

والحرمان من حقيقة الإسلام، ويشهد تشاجراً وتقائلاً على أوسع نطاق، فهذا المرض المستشري والداء المتفشي لا يزول إلا بالتعامل الحسن والتعايش السلمي، والحوار العلمي، ولا يرتفع إلا بالتعاون فيما اتفقت عليه الأمة والتسامح فيما اختلفت فيه، وقد ركز سعادة الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله في الندوة العالمية حول التقريب بين المذاهب الإسلامية على أن مبادئ التقريب بين أبناء الأمة الواحدة ثلاثة: ١- حسن الفهم، ٢- حسن الظن، ٣- التركيز على نقاط الاتفاق لا على التمايز والاختلاف.

(مجلة الرابطة الشهرية الصادرة عن رابطة العالم الإسلامي)

إن أكبر عدو مدجج اليوم بأحدث الأسلحة الفتاكة، وقد بسط قنواته اللاسلكية السامة في كل بقعة من الأرض، وبدأ يشن الغارة بخيله ورجله على المقدسات الإسلامية، ولم يدع أيّ وسع في تخدير العقول وإغراء الشباب والشابات، فالموقف متأزم، والقضية حاسمة، فلو استمرت الخلافات الداخلية فيما بين المسلمين وكانت على قدم وساق لأصبحت الأمة بالانهزام والانهيار والتفسخ أكثر من ذي قبل، وقد حفظ لنا التاريخ أن جنود محمد الفاتح تقتحم القسطنطينية، وكان النقاش هناك جاداً حول نوعية الخبز الذي أكله عيسى عليه السلام في العشاء الرباني، فاستطاعت أن تدخلها باطمئنان وتتغلب عليها في دقائق وثمان، الوضع يتطلب منا الجدية والصرامة نحو الاحتفاظ بأعلى متاع العقيلة والدين والإيمان، وهذا الحلم لا يتحقق إلا بتقريب شقة الخلاف وملأ الفراغ، وتبادل الخواطر والآراء، وزرع بذور الألفة والمودة في الناس، وقد قال الشاعر:

رص الصفوف عقيلة * أوصى الإله بها نبيه
ويد الإله مع الجماعة * والتفرق جاهلية

إصدارات جديدة:

١- كتاب العربية والآداب

قلم التحرير

أهدي إلى فضيلة الأستاذ الشيخ محمد نعمان الدين الندوي؛ عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ورئيس تحرير مجلة الصحوة الإسلامية؛ ورئيس المعهد العالي للغة العربية وآدابها بالجامعة الإسلامية دار العلوم حيدرآباد (الهند)، كتابه القيم الذي يتضمن موضوع العربية والآداب العربي، ويمثل أهمية اللغة العربية وقيمتها الدينية والأدبية، وتميزاتها عن سائر لغات العالم، تحدث المؤلف في هذا الكتاب عن أبرز خصائص اللغة العربية بذكر مائة قول في بيان أهميتها وفضل أدبها على الآداب العالمية، ذلك لأنها هي الواسطة الوحيدة للعلوم الإسلامية كلها، ولغة الكتاب والسنة الأصيلية، وهي أوسع اللغات التي ركز على تعليمها ونشرها في جميع المجتمعات الإسلامية علماء العربية وأدباؤها.

كما أن الكتاب يحتوي على عناوين شتى لها صلة بالعربية، ذلك كقضية اللحن فيها، وحقيقة اتساعها وشمولها جميع قضايا الحياة الفردية والجماعية، وكيف كان دور السلف في العناية بها التي قصر فيها الخلف القادمون من بعدهم، ويتحدث الكتاب عن نواح عبقرية للغة الضاد، ويقف وقفات مع الأدب والأديب والأدب الإسلامي وعن المناظرة الأدبية العربية التي جرت بين الخوارزمي (٣٨٣هـ) والهمذاني (٣٩٨هـ) في القرن الرابع الهجري، وهي مناظرة أدبية ممتعة تفتح الأذهان وتشحذ العقول، وتمهد الطريق نحو الحرص الشديد على تعلم هذه اللغة والإقبال على إتقانها، بريئة من كل عيب ولحن.

هكذا جاء هذا الكتاب في أوانه الذي يثبت فيه جدارة اللغة العربية لكي تكون لغة عالمية متميزة عن جميع اللغات الأخرى، والزمن الذي أقبل فيه الناس على الاعتراف بعظمتها وخصائصها.

وهو جدير بأن يكون في يد كل طالب وأديب العربية في كل مكان. وإننا إذ نهني الأستاذ الفاضل مؤلف الكتاب، على ما بذله من مجهودات أدبية في تأليف هذا الكتاب واستخراج ما يتصل بموضوعه من الأقوال والآراء، والعلوم والآداب، ندعو الله سبحانه أن يجزيه على ذلك جزءاً موفوراً، ويجعله موضع الاهتمام والعناية لدى طلاب العربية وآدابها،

والله ولي التوفيق والسداد.

٢. كلدسته علم ونظر (باقة زهر للعلم والفكر)

تلقينا هذا الكتاب وهو من تأليف فضيلة الشيخ محمد برهان الدين السنبهلي؛ رئيس قسم التفسير بكلية الشريعة بجامعة ندوة العلماء، وهو مجموعة من الموضوعات الفقهية والدراسات العلمية التي قام بها المؤلف الكريم في مختلف أوقاته ومناسباته في مجال التعليم والتربية، وله في الفقه الحنفي نظرة واسعة، خاصة وهو عضو تأسيسي لهيئة قانون الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند، فطالما يقدم آراءه الفقهية وتحقيقاته العلمية في الندوات التي تعقدها هذه الهيئة في مختلف أنحاء ومدن الهند، والكتاب عصارة دراساته العلمية والفقهية، فهو يشمل المقالات والبحوث التي دمجها حول المواضيع الحية التي لا يستغني عنها الإنسان في أحواله وأعماله، ذلك كمثال التحديات التي تواجهه نتيجة الحضارات المادية، ونظام العدل والمساواة الذي وضعه الإسلام، وتعريف الفقه الإسلامي وحاجة الحياة الإنسانية إليه، والأوصاف المشتركة بين القاضي والمفتي، والإسلام والحقوق الإنسانية، وحل الصراع الطبقي في حكمة النبوة، ونظرة في بعض الأحاديث التي روجها الناس، وهل يجوز الصلاة على الفاسق، هل يجوز بناء المسجد على أرض مغصوبة، متى تصح صلاة الجمعة في القرية، طريقة عقد الزواج بواسطة الهاتف والإنترنت، وكيف كان مذهب شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي، ومنصب الخلافة، والخلفاء الراشدون، وما إلى ذلك من تفاصيل فقهية في الشريعة الإسلامية. والكتاب جدير بالانتفاع في كثير من مشاكل الحياة الفردية والاجتماعية، ويحمل طابعاً علمياً فقهياً بشئ كثير من التفصيل.

٣. العالم الرباني الكبير الشيخ أبرار الحق الحقي

كان العالم الرباني الكبير الشيخ أبرار الحق الحقي آخر خليفة للعالم الرباني الكبير حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي (المتوفى ١٩٤٣م) الذي أنجب عدداً كبيراً من تلاميذه وأتباعه وخلفائه في مجال التربية الدينية والتزكية والإرشاد في القرن العشرين، فقد سجل له تاريخ الهند الإسلامي مآثر كثيرة ومناقب جليلة في هذا المضمون، وكان العالم الرباني الكبير فضيلة الشيخ أبرار الحق الحقي من أبر خلفائه، الذي ركز على التربية والإرشاد وإحياء السنة، وقد ركز عمله التربوي على دعائمين

١٠/ع - ٥٢/ج رجب ١٤٢٨ هـ

98/98

يوليو-أغسطس ٢٠٠٧م

إلى رحمة الله تعالى

أساسيتين، أولاهما: ترسيخ عقيدة التوحيد في أعماق القلوب، وثانيتهما اتباع السنة في جميع الأعمال والأحوال، وقد كتب الله تعالى له النجاح الكامل في هاتين الناحيتين، وتزايد إقبال الناس من العلماء والخاصة وجهابرة المسلمين (وحتى غير المسلمين) على عمله التربوي، فقد كان مثلاً فريداً في اتباع سنة رسول الله ﷺ وإحياء ما تنوسي منها، وتوجيه الأمة إلى الطاعة لله ولرسوله ﷺ، ولذلك لقبه أتباعه بمحيي السنة عن جدارة. لقد وفق أخونا الفاضل الشيخ السيد محمود حسن الحسني الندوي إلى تأليف هذا الكتاب حول حياته، وخدماته في سبيل العلم والدين، بعدما استأثرت رحمة الله تعالى بالفقيه الجليل في شهر مايو عام ٢٠٠٦م، وحدث بوفاته فراغ هائل في مجال التعليم والتربية الإسلامية والتزكية القلبية، فكان لابد من ذكر محاسنه ومننه، وترجمة حياته الحافلة بالعمل الخالص لوجه الله تعالى، وقد تحقق هذا المطلب الجليل بهذا الكتاب القيم الذي سينال رواجاً كبيراً بين جميع طبقات المسلمين بإذن الله تعالى، ويستفيد منه الناس في بناء السيرة الإسلامية، وتوطيد الصلة بالله تعالى ورسوله الكريم ﷺ، حباً وطاعة وعقيدة، وقد تحلى جيد الكتاب بمقدمة ضافية بقلم سعادة الشيخ السيد العلامة محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء العام.

إلى رحمة الله تعالى :

فضيلة الشيخ المحدث محمد ناصر علي الندوي في ذمة الله تعالى

استأثرت رحمة الله تعالى بالعالم الكبير والمحدث الجليل فضيلة الشيخ محمد ناصر علي الندوي؛ رئيس قسم الحديث بجامعة ندوة العلماء في اليوم الأول من شهر يونيو ٢٠٠٧م الموافق ١٤/من شهر جمادى الأولى عام ١٤٢٨هـ والمصادف يوم الجمعة، وذلك على إثر حادث اصطدام حدث أثناء نزهة صباحية كان يقوم بها كعادة يومية من غير انقطاع، وقد أدى ذلك إلى صدمة عنيفة في الدماغ أفقدت حسه وأغمي عليه، ورغم معالجات كبيرة وعنايات بالغة خلال العلاج لم يكتب له الشفاء، وتوفي بعد يومين ولحق بالرفيق الأعلى، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

كان الراحل الكريم من أبناء ندوة العلماء من جيل الخمسينيات من القرن العشرين، وقد استكمل تعليمه من الابتدائية إلى الدراسات العليا في دار العلوم لندوة العلماء، وكان مبرزاً على جميع زملائه في

يوليو-أغسطس ٢٠٠٧م

99/99

١٠/ع - ٥٢/ج رجب ١٤٢٨ هـ

الصف ، ينجح في الامتحانات والفحوص التعليمية بتفوق وامتيان ،
وبعدما تخرج من الدراسات العليا بكلية الشريعة قديم طلباً للالتحاق
بمرحلة التكميل التي تعتبر شبه الدكتوراه ، وعين مدرساً للعلوم الإسلامية
في عام ١٩٦٠م ، فكان من أنجح المدرسين ، وقد التف الطلاب حوله طلباً
للعلم والزيادة فيه ، وهكذا دأب على المطالعة والدراسة حتى أصبحت له
ميزة في الفقه والحديث ، وعندما حدث فراغ في مشيخة الحديث بعد وفاة
فضيلة الشيخ المحدث ضياء الحسن الندوي (رحمه الله) سله بكل جدارة
وأصبح رئيس قسم الحديث في كلية الشريعة .

كان الفقيد ساذج المعيشة متواضع الملبس والمأكل ، حسن الأخلاق ،
قليل الاختلاط بالناس ، مكباً على عمله التحديثي والعلمي ، منقطعاً عن كل
شئ وحاجة ، لا يزور الأسواق ، ولا يجلس مع الأحباب بدون حاجة شديدة ، ولا
يرى رأيه في القضايا والمشكلات بل كان يخضع في جميع شئون الحياة لكتاب الله
وسنة رسوله ﷺ ، يشغل بمطالعة العلم ، ودراسة الحديث ، والتأمل في كتاب
الله تعالى ، والتفكير في الآيات التي أودعها الله تعالى في الكائنات كلها .

كانت وفاته التي حدثت على غفلة منه ومن جميع من كان له به
اتصال ، خسارة كبيرة ، وخاصة لندوة العلماء التي فقدت عضواً من أعز أبنائها ،
واجهت فراغاً كبيراً في هيئة التدريس ومجلس الأساتذة والمجتمع الطلابي ،
ولعل الله تعالى يملأ هذا المكان الشاغر بمن هو أجدر بذلك ، وقد رزقه الله تعالى
هذه المنزلة العلمية من أجل ما كان يكنه من الاحترام والإعجاب بأساتذته
المحسنين الذين كان يحلهم ويعرف جميلهم ويحمل لهم تقديراً كبيراً .

لم تكن للراحل الكريم آثار علمية مطبوعة ولعله لم يلتفت إلى
هذه الناحية باشتغاله الكبير بمطالعة الحديث وموضوعات الفقه الإسلامي
علماً بأنه كان يقوم بالإفتاء حول المشكلات الفقهية التي كانت ترد إلى دار
الإفتاء وكان يقضي في القضايا في ضوء الكتاب والسنة ، وتعامل الفقهاء
والقضاة الإسلاميين ، وذلك من خلال دار القضاء ، التي أنشئت في المبنى
الخاص بالقضاء منذ مدة غير قصيرة .

تغمده الله تعالى بواسع رحمته ، وغفر له زلاته ، وتقبل صالح أعماله ،
وأغلق عليه شأبيب مثوبته ورضوانه ، وأدخله فسيح جناته وألهم أهله
وذويه الصبر والسلوان ، وجعله ممن أنعم عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم !

حفظه الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة ، نشكركم
على ما تتابعون من قراءة : "البعث الإسلامي" ، وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة
الإسلامية الهادفة ، تصدر من ٥١/عاماً بالاستمرار ، وينتهي بهذا المجلد عامها الثاني
والخمسون - والحمد لله - .

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً ، وبتكلفة باهظة ،
وهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم ، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي منكم ، وببذل
شئ من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم ، ولكم منا
الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول .

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من
أحد البنوك ، باسم : (ALBAAS-EL-ISLAMI) .

بالعنوان التالي :

مكتب : "البعث الإسلامي"

مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء - ص.ب ٩٣

لكناؤ (الهند)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم المخلص

سعيد الأعظمي (النروي)

رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"

ص.ب ٩٣ - مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء - لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

إصدارات جديدة:

إلى نظام عالمي جديد

محمد واصل رشيد الحسن النذوي

الجمعية الإسلامية العالمية

ص ب ١٩١ - ندوة العلماء لكتاب (الهند)

رقم الهاتف: ٥٢٢١٧٢١٠٢٢٩ - فاكس: ٥٢٢١٧٢١٠٢٢٨